

سيد صديق عبد الفتاح

موسوعة أسرار العشق
فى التاريخ والادب

العشق والعزل

فى القرن التاسع عشر



العشيق.. والغزل

في القرن التاسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنَّمَا الرِّزْقُ قَبْذُ هَبٍّ جَفَاءٍ وَأَمَّا
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَنْفَعُهُمْ فِيْ تَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ

حارالأمير

طبع • نشر • توزيع

المجلة : ٨ شارع أبو المعالي
(خلف المعهد البريطاني) المعجزة
تليفون وفاكس : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق
(خلف قاعة سيد درويش) الهرم
تليفون وفاكس : ٥٦٣٤٦٩٩
ص.ب. ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس أي
جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

رقم الإيداع ١٠٠٨٨ / ١٩٩٧

ISBN : 977-279-159-5

إخراج فني : جمال فتحى أحمد

موسوعة أسرار العشق
فى التاريخ والأدب

العشق والغزل

فى القرن التاسع عشر

سید صدیق عبد الفتاح



مقدمة

* عزيزى القارئ ...

‘إن أخطر لحظات الحب بين الرجل والمرأة هى عند المكاشفة للعشق ..
وهى عادة ما تبدأ بالغزل ، أو التغزل فى صورة وأفعال المعشوق .. وهنا ..
تكمُن خطورة تلك المحاولة الغزلية فى أن تقابل بالصد ، أو بتبادل المشاعر
الفياضة بذلك الحب الجارف .

والغزل - العفيف - فى الحب والغرام .. كشراب العسل شفاء من
السقام .

ولقد كان من صور الغزل فى التراث أن يقال : « ما أشد شوقى ،
وتوقى ، وحنينى ، واشتياقى ، وانجذابى ، وظمأى ، وولهى ، ووجدى ،
وتلهفى إليك ، وعليك ، وبك ، وإلى قربك ، ولقائك ، ورؤيتك » .

كما كان يقال : قلبى مشوق إليك .. ونفسى ذات لهفة عليك ، وانتزاع
إلى لقائك .. يشوقها إليك كثرة محاسنك .. ويعظم حنينها إليك حلاوة
شمائلك .. ويطيل ظمأها لذيد عشرتك .. فلست أخلد إلى لذة ، وإن
طابت .. ولا أركن إلى غبطة ، وإن دامت .. فطرفى أرق ، وقلبى قلق » .

ويقال أيضاً : « فى فؤادى حُرقة الاشتياق ، وحزازات النزاع ، ووله
الحنين ، ولوعة الصبابة ، وكمد الحسرة ، وغلة الظمأ ، وشدة الأسف ،
وتبريح اللفف » .

وكذلك : « قد برح بى طول صباتى بك .. وأرقنى نزاعى نحوك ..
وأقلقنى انزعاج قلبى إلى رؤيتك .. وأضنأنى شوقى إليك .. وكدر عيشى

شدة صبوتي لك .. فالقلب يحترق ، والكبد يخفق ، والأحشاء تصطفق ،
والجفن يندفق ، والدمع ينبثق ، ونار الشوق تأتلق ... ،

ونار شوقي .. فى العشق - تتأجج .. وحر الهوى يتوهج .. ولوح الظما
يتهيج .. والقلب جريح مضرع .. يشوقنى نزاع .. ويسوقنى نحوك التياح ..
ويزعجنى إليك حب اللقاء وشهوة الاجتماع .. فالنفس إليك سامية ..
والعيشة معك راضية ، وبقربك سابعة صافية ، ولذة الدنيا - إذا رأيتك -
طيبة صافية .

لقد اشتد بى الشوق والنزاع ، وغلب على قلبى تباريح الالتياح .. فأنا
حليف حنينى وصبوة ، وأليف تشوق وصبابة .. لا ألتذ طعم الحياة وإن
صفت ، ولا تهنؤنى لذة النعيم وإن طابت .. فالقلب مشوق منجذب إليك ،
والروح مسوق وافد عليك .. لا تشغلنى عنك فائدة ، ولا تذهلنى عن
الاشتياق إليك منحة زائدة .. فأنا إليك مشوق ، وإلى رؤيتك مقود مسوق ،
وعن لقائك وزيارتك ممنوع معوق .. يحدونى ظمأى إلى لقائك ، وتحدونى
وحشتى على الأنس بمشاهدتك .

ولقد تطور غزل العشاق فى العصر الحديث ، وسهلت لغته ، كأن
يقول العاشق لحبيبتة :

« منذ أن عرفتك يا حبيبتى عرفت نفسى .. كانت روحى غريبة عني ،
وكنت أنظر إلى قلبى كما ينظر المرء إلى عالم مغلق مجهول .. وفجأة
أشرق عقلى ، وخفق قلبى ، وعلمتني عيناك كيف أصلى وأبكى .. فأحببتك
يا حبيبتى كما أحب ذاتى ونفسى ..

« ليتنى كنت ثمرة صغيرة لأذوب فى فمك ..

« ليتنى كنت زهرة جميلة لأعطر روحك ..

« ليتنى كنت شهداً لسانك ، ودماً لقلبك ، وماءً عذباً تغتسل فيه إلى الأبد قدماك ..

« إنى لأود أن أكون الشجرة القائمة تجاه بيتك .. أود أن أكون غصناً من الشجرة .. أو ورقة من الغصن .. أو ظلاً من الورقة كى أتسلل إليك فى رابعة النهار يا حبيبى وأداعب خدك الناعم الرقيق ولو للحظة .

« إنى لأعشقك وأحبك بقدر ما فى القلب من نبض وحياة .. بقدر ما فى العقل من خواطر وفكر .. بقدر ما فى الروح من نشوة وخلود .. بقدر ما فى النفس من لذة وشقاء .. بقدر ما فى الحياة من دوام وبقاء .. بقدر ما بين عاشقين من شوق اللقاء ، .

* عزيزى القارئ ...

الحب العشقى حركة تشمل القلب ، وتشغل الخاطر ..
أما حصولها ، فيكون أولاً على طريقة الوداد ، أو الميل البسيط .. ثم يرتقى إلى درجة الحب ، وهو الميل الثابت إلى المحبوب ..
ثم تصعد - أخيراً - إلى درجة العشق ..
وهناك إذا أفرطت تدعى بالهوى ، أو الجوى ، أو الغرام .. وذلك حسب قوتها ..

فإذا نزل العشق فى قلب الشخص .. رحل صوابه ، وصارت كل أفكاره تدور على هذا الاسم ..
وهكذا .. تعود كل تصرفاته منصرفة إلى وجه الحبيب بحيث لا يعود ساعياً إلا فى سبيل مرضاته ، ولا يطلب إلا شهوده ..

فإذا تبدلت بالغيبة ، تلاعبت به خمرة الأشواق ، وعبثت بقلبه نار الأتواق .. فيحن ، ويثن ، ويضيق صدره ، ويضطرب فكره ، فيأخذه

القلق ، ويشمله الأرق ، ويتصعد ، ويتنهد ، ويهيم إلى الطرقات ،
ويرصد الطاقات ، ولا يلذ له سوى ترداد ذكر الحبيب ، واللهج به ..
فكلما كان أرسخ ، وصاحبه به أكلف .. فإن موقع لذة الظفر منه
أعمق ، وسروره بذلك أبهج ..

والعشق وإن كان من الصفات التي تستعبد الأحرار ، وتسترق ذوى
الأقدار ، وتورث الأحزان ، وتوقع فى الذل والهوان .. إلا أنه أيضاً من
الخصال الجميلة التي تطلق اللسان ، وتشجع الجبان ، وتصفى الأذهان ،
وتولد الأخلاق الحسنة وحب الفضيلة فى الإنسان .

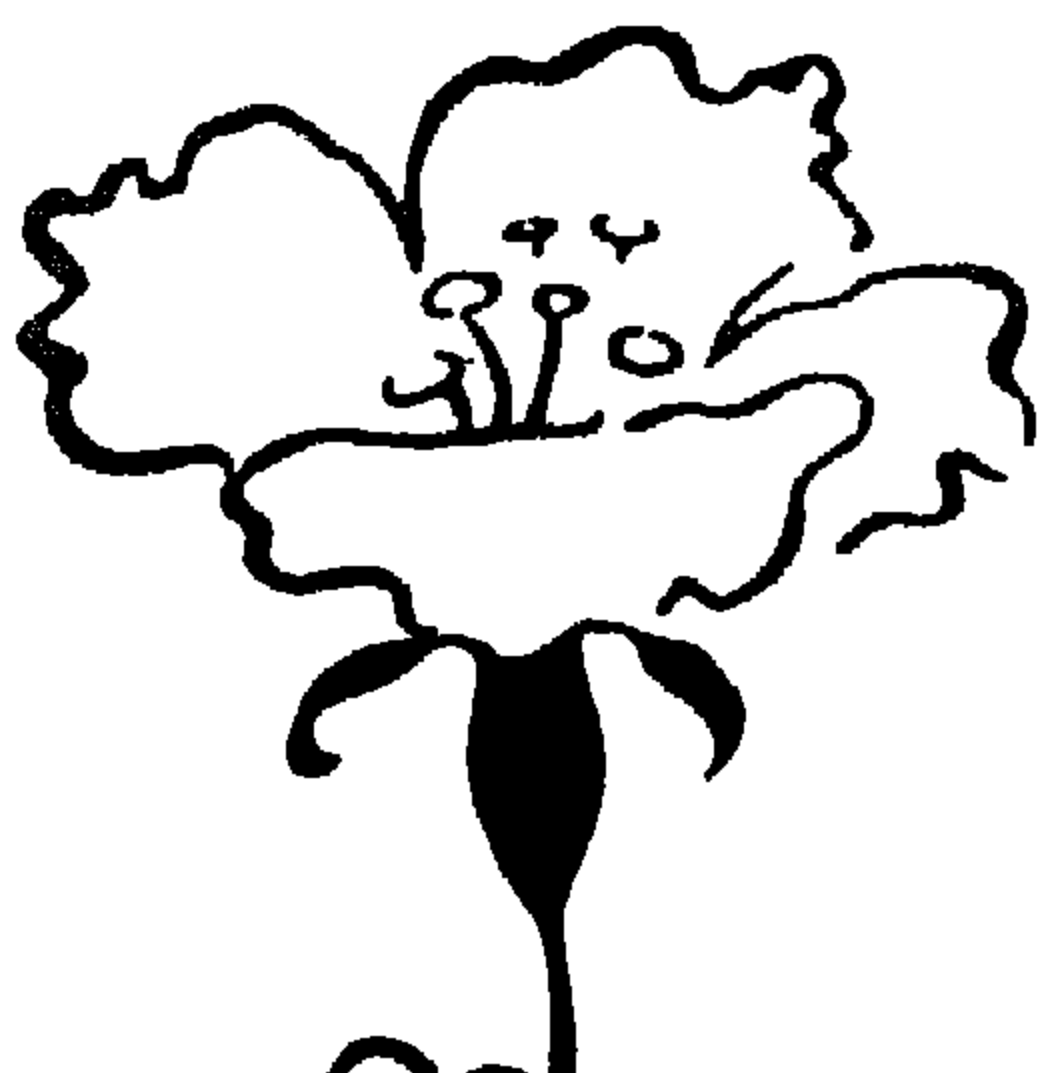
وللعشاق مذاهب مختلفة فى العشق :

فمنهم من يهوى ذات التصنع ، والتمويه ، والعجب ..
ومنهم من لا يعجبه ذلك ؛ وإنما يؤثر الحسن الطبيعى ، وأن يكون
فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة ..
ومنهم من يزيد فى المرأة غراماً إذا كانت ذات عزة ..
ومنهم من يعشق المرأة لاتسامها بسمة شرف وسيادة ..
ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينة ..
ومنهم من يعشق من على طلعتها آثار الحزن والكآبة والفكر ..
ومنهم من يعشق ذات البشر ، والطلاقة ، والأنس ..
ومنهم من يعشق من بها مرح ، ونزق ، وطيش ، وثرثرة ،
وقهقهة .

ومنهم من يعشق المرأة لأدبها ، وفهمها ، وحسن كلامها ..
ومنهم من يعشق التي تكون كثيرة الزينة ، والتأنق ..
ومنهم من يعشق المرأة الماجنة المستهترية ..

ومنهم من يعشق المرأة الشهوانية ..
ومنهم من يعشق المرأة العفيفة ..
ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات كلها فى محبوبته ! ..
ولكن .. لماذا ؟ ..
هذا هو ما سنلقى الضوء عليه فى طيات هذا الكتاب .

« سيد صديق عبد الفتاح »



العشق
فى آداب
القرن التاسع عشر

(العشق .. والغيرة)

* الغيرة أنواع :

عندما يولد الطفل الثانى ، يشعر الطفل البكر أنه قد أزيح عن عرشه ، وظهر فى عالمه الصغير من يزاحمه ، ويشاركه فى عطف الأم ورعاية الأب .

والقاعدة أن الأخوة يتناقشون ، وتنشأ بينهم الغيرة التى تؤدى إلى ألوان من الجفاء والحقْد ... وكذلك الحال بين الشقيقات .

وأشد ما تكون الغيرة بين الأخوة والأخوات ، وإذا وكدوا ووكدن من أمهات مختلفات ، كما هى الحال فى الشرق العربى .

ومن ذا لذى ينكر استفحال الغيرة بين التلاميذ ، وبين الموظفين والعمال ؟ فغيرة أهل الحرفة الواحدة بعضهم من بعض - أو كلهم من فرد نبغ ورقى السُّلَم ، وهم فى الحضيض - هذه الغيرة بين أهل المهنة الواحدة مشهورة .

وقد بلونا من غيرة الصحفيين والأدباء والشعراء فى حياتنا الفكرية والفنية ، حرباً عواناً يتراشق فيها الخصوم بعبارات السباب ، ونشر الفضائح .

الغيرة : تبعث الغيرة ! فيظهر أن الآباء تعديهم غيرة الأبناء ، فيتبارون فى كسب محبة الأولاد ، فكم ذا رأيت الوالدين يتحرقان غيرة لأن الابن الناجح - أو الفتاة الموفقة فى زواجها - يحن إلى أحدهما ، ويهفو عليه ويتهاون قليلاً أو كثيراً فى التلطف بالثانى .

والشباب يغير من الشيوخ والكبار ، بسبب مراكزهم وما أحرزوا من
جاه أو ثروة أو نفوذ .

والشيوخ تعصف بهم الغيرة لأن الشباب يمتد أمامهم الأجل ،
وينفسح لهم ميدان الحياة رحباً غنياً بالفرص حاشداً بالسعادات
المنتظرة !!

أخيراً . . . غيرة المرأة من المرأة !!

ونمضى فى الموضوع ، فنلاحظ أن ما تقدم يدل على :

أولاً : أن الغيرة أنواع عديدة .

ثانياً : أن الغيرة شائعة فى كل زمان ومكان - فى جميع الأعمار
والأجناس ، وبين الرجال والنساء على حد سواء .

ثالثاً : تتسبب الغيرة عن عوامل متباينة ومواقف متعارضة .

رابعاً : تؤدى الغيرة إلى الخصام والشقاق وتقضى على السعادة .

*** غيرة العشاق :**

أيهما أكثر غيرة : المرأة أم الرجل ؟ ! وعلى من تقع النعمة
وينصب العذاب فى الغيرة ، على المعشوق أم على المنافس - هل يقتل
الزوج زوجته أم يقتل عشيقها ، وهل تقتل الزوجة عشيق زوجها
أم تقتله هو ؟ !

الجواب على هذه الأسئلة يختلف باختلاف الأمزجة والظروف ،
وشواهد الحال والعلائق الشخصية ومقدار ما هنالك من عقبات
أو مسهلات .

وتبقى بعد ذلك الحقيقة المتفق عليها منذ قتل « قابيل » أخاه
« هابيل » ، وهى : أن الغيرة تحرض على الجريمة .

فقد تقتل المرأة عشيقته روجها بالسّم ، أو تتجسس على زوجها حتى
يكشف أسرارّه وفصّاحه . وتعرضه للهلاك .

وقد يخون الرجل من أجل الغيرة .

وقد يصرع زوجته أو عشيقته إذا استقر في وهمه أنها استبدلت به
خليلاً سواه .

« عَطِيل » قتل زوجته « ديدمونة » ، ثم انتحر لما تجلت له الحقيقة ،
وعرف أن « ياجو » خدعه بما دلّسه عليه من أوهام .

و « بطرس الأكبر » مثل بضابط شاب ، عشقته « كاترين » زوجته
المعبودة .

ويقال : إن « الرشيد » نكب البرامكة وأبادهم عن آخرهم ، لشبهة
من غيرة ، حيث وشى له أحد رجال البلاط أن « يحيى البرمكى » مغرم
بأخته « العباسة » .

واستمرت الحرب حول « طروادة » عشر سنوات تقاتل فيها
الإغريق ، من أجل « هيلانة » التى اختطفها « باريس » ابن الملك « بريام »
صاحب طروادة .

ولقى الشاعر الأندلسى والوزير المشهور « ابن زيدون » صنوفاً من
العذاب والتشريد والسجن من أجل حُبّه « ولادة » بنت الخليفة التى نافسه
فى عشقها « ابن عبدون » الوزير الخطير صاحب الدسائس والحيلة
الواسعة .

وقد كشفت لنا الحرب العالمية الماضية عن حقائق تشبه الروايات
الخيالية ، ذلك أن المؤتمرات الغامرة والمحالقات السابقة ، كان للنساء فيها
القدح المعلى من أجل تسلطهن على قلوب الساسة والملوك ! .

فكان الحروب الأوربية الطاحنة ، نشبت بتحريض المرأة ، وإرضاء
لشهوات انتقامها وغيرتها ، أو إشباعاً لأحقاد المتنافسين على إحراز
رضاها .

حتى « تيمور لنك » ذلك الجبار غليظ القلب ، قيل أن نساء حريمه
حرضنه على افتتاح الهند طمعاً فى جواهرها ! .

ولا ريب فى أن الغيرة فى حريم السلاطين هى السبب فى جرائم
عديدة منها : قتل الأهل ، وإعدام الوزير ، وتمزيق الدول
بالعداوة والفتن !! .

وليست الغيرة من الغرائز الإنسانية ؛ لأن الذى ينطبق على الغرائز
لا ينطبق عليها ، فهى إذن شىء غير طبيعى ولا معقول ، ولا مبرر
لها مطلقاً .

وجملة ما يقال عنها ، هو : أنها تتصل :

أولاً : بالحب والعشق والغرام ..

ثانياً : بالغضب والانفعالات الحادة ..

ثالثاً : بالألفة والوداد ، وما بين الناس من تواصل وخلطة .

وقد رأينا أن الغيرة تنبت ، وتنمو بين أفراد العائلة الواحدة ، بين
الأولاد وبين البنات ، ثم بين الأبوين على حُب الأولاد ، وعلى حُب
الغير .

والغيرة تَمُتُّ بأسباب قوية من الأنانية ، وتمتد جذورها من الأثرة
وحب الذات ! .

ومن أجل ذلك تصير الغيرة عادة بالتكرار ، وقد قيل أن العادة
طبيعة ثانية .

هذا وأسباب الغيرة ودواعيها والمحرضات عليها ، وكذلك مظاهرها والأشكال التي تتراءى عليها - هذه كلها تتكيف بروح العصر وبالطبقة الاجتماعية والمركز الاجتماعي والحالة الاقتصادية .

إذن : الغيرة عادة ، نصفها مكتسب ، ونصفها صادر من الأنانية نابت من الأثرة - فهي طبيعة ثانية ؛ لكنها مهلكة مدمرة تقضى على الشخص وقد تقضى على سواه ، وربما قضت على أم وشعوب .

(العشق .. فى حياة المرء)

قال أحد الشعراء :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنيّ به وله عقل
وعشّ خالياً فالحب راحتته عنى
وأوله سقم وأخيره قتل

إن الإنسان متى ناهز سن الصبوة والشبية تميل نفسه بالطبع إلى أمر
تتمعش فيه ، وتصبو إليه .
ولما كان الإنسان غير قادر على كبح جماح شهواته ، طمحت نفسه
إلى الحب والتصبيب .

ومتى سيق الإنسان إلى هذه النقطة التى وصل إليها بالرغم عنه
وحتفًا عن أنفه ، يهيم غراماً وولوعاً إلى أن يتغزل فى آنسة أو خود
ناهدة ، فيسلوا كل شىء دون ذلك ، ولا يفكر إلا فيما هو مغرم به ،
ومتصبيب فيه حتى تقوى الرابطة ، وتعظم الأسباب .. فيأخذ فى أن يهجر
النوم ، ويمتنع عن الطعام ، ويهمل أشغاله ، ويترك ذويه وأقرانه .

ولا يجد لذته إلا فى العزلة ، والابتعاد عن كل شخص .. ذلك
ليتمكن من بث لواعج^(١) الغرام لنسيم الصبا .. أو عرض شكواه لنجوم
السماء وأقمارها .. أو مناداة محبوبته لتزوره ولو فى الأحلام .. أو يشكو
الزمان ، ويهجو^(٢) الدهر الذى لم يقرب مزار محبوبته ، ويسب
الأيام ، ويلعن الليالى التى أبعدته عن حبها قلبه .. كل هذا يترغم
به ، ويترنح بذكره ، وهو فى انفراده .. لا تراه العيون ، ولا يلمحه
رقيب واش .

(١) كل محرق مؤلم .

(٢) يذم . يقدح فى حق .

وأحياناً .. يرسل تحيته ، ويبعث تسليماته ، وفرط أشواقه على أجنحة الرياح التى تهب .. وإلى غير ذلك من التخييلات الوهمية التى تتخيل له فى ذهنه المتجه إلى محبوبته ، والمنصرف إليها دون سواها .

وكل هذه الانفعالات المنبعثة من الشهوة البهيمية تذهب به إلى موارد المتالف ، وتقوده إلى شر الحتوف والمهالك ، وتضر بجسمه ضرراً بليغاً وهو غفلان لا يشعر .. قد أخذته سنة^(١) الهيام ، فأنسته ما يتجشمه من مصاعب المتاعب التى نخرت قواه ، وأضنكت عزيمته ، وأضاعت رشده .. فأصبح باهت اللون ، نحيل الجسم ، نحيفه ، فاقد الحواس والادراك ، بعيد التصور .. إلا محبوبته .

ويلبث على هذه الحال حتى تؤول به إلى أحد أمرين : إما موته ، وإما نواله بغيته التى كانت ضالته المنشودة ، وغايته القصوى . فمتى فاز بأمنيته ، انحلت عرى الحب ، وتمزق رداء العشق .

وتأخذ النفس فى التنازل عما كانت عليه والإحساسات والعواطف ، فيخمد ضرام نارها ، والجسم يعود إلى ما كان عليه قبل هذا العارض .

وتفقد نفس الشخص ، فيمقت نفسه ، ويلومها على ما قادت إليه من تباريح الحب ولواعج الغرام .

غير أنه لا يعتم حتى تدفعه نفسه إلى الميل لشيء آخر .. إذ أن سنة الميل إلى الأشياء الحسنة غريزية فى الإنسان منذ نشأته .. ولا يتأتى له التنازل ، أو الإقلاع عنها مهما اشتدت الوطأة ، وعظمت الحال .

أما العشق ، من حيث هو ، فيؤلد عند الشبان : الشجاعة ، والكرم ، ودمائة الأخلاق ، والميل إلى الارتقاء ، والنظافة ، والسعى وراء الكسب .. فهو ممدوح من هذه الوجهة .

(١) غفلة نوم : غفوة .

أما العشق من حيث أنه يقود المرء إلى المفسد ، ويسوقه إلى أردأ المسالك ، فهو : محقوت ، مذموم .

وخير العشق : ما كانت الصيانة رائده ، والعفاف قائده ، والفضيلة مشكاته ، والحشمة سميره ، وغايته حميدة .

وإذا خرج عن ذلك : فعدم الانشغال به أضمن راحة ، وأحسن عملاً :

أما من اتخذ ذريعة لنيل أغراضه السافلة ، وقضاء للباناته البهيمية .. فهو جبان ، نذل ، لا يصح أن يكون فى مصاف أفراد الهيئة الاجتماعية بذلك .. لأنه قد يكون خرق نواميس الهيئة ، وقوانين الإنسانية ! .

وقبيح على الإنسان أن يسلك هذه الخطة العوجاء ، ففيها شقاء له ولنسله من بعده إن لم يتب ، ويعدل ، وإلا فالعين بالعين ، والسن بالسن ، وفى هذا الكفاية .

ويجمل بالمرء أن يصرف كل عنايته ، ويوجه جل أفكاره فيما هو أنفع له وللهيئة الاجتماعية التى هى فى حاجة كبرى إليه وإلى نسله .

لأنه لو تعلق الشاب بالحب والعشق .. أضاع مزية التناسل ، وعاش ولا ذرية له ، فإذا مات ، أو عاش على حد سواء .

أما الأمور النافعة له من الحب والتصيب ، ، فهى أن يتمسك بأهداب السعى والكد ، وينصب على ما يخلد له الذكرى الحسنة .. فينتهز فرصة هذا الدور المهم فى الحياة ، أى دور الشغل والسعى ، دور الجرى والنشاط ، ويقوم بتأليف المؤلفات ، أو ابتكار المخترعات ، أو ما شاكل ذلك ، إذ لا وقت له بعد ذلك إلا النذر اليسير ، فهو على أهبة الزواج ، وحمل العبء الثقيل ..

ولا خير فى إنسان يمضى معظم عمره ، وزهرة شبابه فى عدم تخليد ذكر له ينفعه وينفع بنيه بعده .

وأحسن وسيلة موصلة إلى هذه الغاية .. أن ينعكف الإنسان في أوقات فراغه ، وينعزل وحده ، فبدل أن يغازل النسيم ، ويسامر القمر ، ويحدث النجوم ، ويكالم عشيقته في الأحلام .. يتفرغ وحده للتأليف ، أو الاختراع ، أو الانصباب على المطالعة ، أو الانعكاف على إتقان حرفته ، أو حل غوامض صناعته .

وإذا رأى نفسه أنه لا يستطيع التغلب على أهوائه ، وردع جماح شهواته .. يسعى في الزواج ، فيغنم ، وينعم ، وهذه أكفل طريقة لسعادته ، وأضمن حالاً لمستقبله .

وأما العشق ..

فراحته : عناء ، وسعادته : شقاء ، وصحته : سقام ، وحقيقته : زور وبهتان ، وأوله : سقم ، وآخره : قتل .

فحذار .. حذار من الوقوع في أحبولته ، فطالما أذل بعد العزة ، وخفض بعد السمو ، وأهان بعد الإكرام ، وأفقر بعد الغنى .

فالعشق : ابن للدنيا .. فهو لا أمان له ^(١) .

* * *

(١) فرنسيس ميخائيل .

(العشق لدى محرر النساء)

« كنا نظن أن العشق في ذوات الحركة والحدة من النساء
أكثر ، فوجدنا الأمر بخلاف ذلك ، وهو في الساكنة
الحركات ، أكثر .. ما لم يكن ذلك السكون بلّها » .

« ابن حزم الأندلسي »
(٩٩٤ - ١٠٦٣ م)

* * *

* يقول « قاسم أمين » : (١٨٦٥ - ١٩٠٨ م) :

« لا شيء يشبه العشق في عنفوان نشأته ، إذا هجم هذا المستبد
القاهر .. ارتعدت منه الفرائص ، وحصر اللسان ، واختبل العقل ،
وخلا الطريق أمامه .. فوصل إلى القلب بوثيقة واحدة ، أو بوثبات
متعددة .

« ومتى احتله تمدد فيه ، وانتشر ، وملاه برمته ، فلا يقبل منافسا ،
أو منازعا ، أو شريكا ، أو ضيفا بجانبه ؛ بل يستأثر وحده بالنفس
فيلهيها عن شواغلها ، وينسيها حاجاتها ، ويفرق بينها وبين آميالها ،
ويذهب همومها وأحزانها ، ولا يطمئن إلا إذا قطعت العلاقات مع
غيره ، وأصبحت كلها له كأنها ولدت معه في يوم واحد ، وتقنى معه في
ساعة واحدة ، لا تعرف ماضيها ، ولا تبالى بمستقبلها .

« فإذا تمكّن منها على هذا الحال ، وقبض على زمامها ، رضيت
بعجزها وشكرته أسرها ، واغتبطت برفقيها ، ووجدت على اتصالها
بنفس أخرى قوة ، وفرحا ، وسعادة لم ترَ مثلها .

« العاشق عنده ما يكفيه .. سماؤه صافية مهما تراكمت عليها
السُّحُب . ومائدته فاخرة ، وإن لم يكن عليها غير الخبز والملح ،
تنتابه الحوادث ، ولا تترك به أثراً .. لأنه لا يعاب بها : سارة أو ضارة ، ويقاوم
الحياة بجرأة عجيبة .. لأنه يشعر بأن في جسمه روحين وفي صدره قلبين .
« إن كان من الوجود إنسان يستحق أن يُحسد على نعمته .. فهو
العاشق .

« كل عشق شريف ، فإن كان بين شريفين ، زاد في قيمتهما ، ورفع
من قدرهما .

« وإن كان بين وضيعين ، أكسبهما شرفاً وقتياً ، حتى إذا زال
العشق .. سقطت قيمتهما ، وانحطت مرتبتهما ، ورجعا إلى
أصلهما .

« يشعر العاشق بلذة ساحرة إذا كان محبوباً ، وإذا كان غير محبوب
فيجد في ألمه لذة أخرى مشابهة السكر من تنبه الأعصاب ، وسرعة في دورة
الدم ، وانفعالات شديدة في النفس ، وبالإجمال من زيادة محسوسة في
مبلغ الحياة .. كلاعب القمار ، يتمتع بإرضاء شهوته في الربح والخسارة ! ..

* * *

١ - العشق .. فى آراء « الشدياق » ،^(١)

« ... السجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشى ، فينبغى لى أن لا أتوكأ عليه فى جميع طرق التعبير ، لئلا تضيق بى مذاهبه ، أو يرمينى فى ورطة لا مناص لى منها .

ولقد رأيت أن كلفة السجع أشق من كلفة النظم ، فإنه لا يشترط فى أبيات القصيدة من الارتباط والمناسبة ما يشترط فى الفقر المسجعة .

وكثيراً ما ترى الساجع قد دارت به القافية عن طريقه التى سلك فيها حتى تبلغه إلى ما لم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها .

والغرض هنا أن نغزل قصتنا على وجه سائق لأى قارئ كان ، ومن أحب أن يسمع الكلام كله مسجعاً مقفىً ، ومرشحاً بالاستعارات ، ومحسناً بالكتابات ، فعليه بمقامات الحريرى ، أو بالنوابع للزمخشري .

ف نقول : إن صاحبنا « الفاريق » بعد إقامته مدة على الحالة التى ذكرناها جرى بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما أوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق آخر من طرق المعاش ، فتاح له أن يكون معلماً لإحدى بنات الأمراء ، وكانت ذات طلعة بهية ، وشمائل مرضية . تامة الظرف . ناعسة الطرف ؛ ولكن ليس المراد بذلك أنها كانت لا تبصر من يحبها كما يكون من به نعاس ، وإنما المعنى أنها ذابلته ، حتى ولا هذه العبارة مفصحة بما أريد أن أقوله ، فإنها توهم أنها كانت ذابلة مع أنها كانت غضة بضة .

بل المقصود أن نقول : إنها كانت كأنها تنظر عن تحشيف ؛ ولكن مادة حشف لا تعجبني فإن فيها معانى اليبوسة والخساسة والراعدة ، وشيء آخر تجلّ الملاح عن ذكره .

(١) أحمد فارس بن يوسف الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨ م) .

بل المراد أنها كانت تكسر جفניה عند النظر ، ولا الكسر أيضاً لائق لها ، فلا أدري كيف ألحن للقارىء ما أردت .

ولعل الأوفق أن يقال إنها كانت ترمى بسهام عن عينيها .

ولم يكن صغر سنّها مانعاً من تبيل من ينظرها ، فإن القلب يعلق بهوى الصغيرة الجداء كما يعلق بهوى الكبيرة الوطباء . إذ ليس كل عشق مؤدياً إلى الدعارة .

فقد عشق الناس الرسوم والأطلال والآثار ، والأشكال والديار .

ومنهم من عشق لرؤيته كفاً مخضباً ، أو عقيصة شعر ، أو ثوباً ، أو سراويلات ، أو تنكة ، أو نحو ذلك .

وأعرف من أحب هرة امرأة فكان يلاعبها ، ويخيل له الغرام أنه ملاعب صاحبته .

وكثيراً ما كانت تنشب فيه أظفارها وتدميه ، وهو يستعذب ذلك ويستحليه ، إما لاستعذاب العذاب فى هوى المحبوب ، أو لاعتقاده أن مداعبة النساء أيضاً لا تخلو من خدش وإدماء .

فكون الجرح منهن أصالة أو وكالة ، إنما هو شئ واحد .

وقد سئل أحد العشاق عن مبلغ الوجد منه ؟ فقال : « كنت أرتاح للريح إذا مرت على نتن مقبلة من صوب المحبوب » .

هذا وإن عشق أهل تلك البلاد أكثره على هذا النمط .

أى أن العاشق منهم يكلف بأثر من محبوبته ، كمنديل ، أو زهرة ، أو رسالة ، وخصوصاً بنسة شعر ، فيشمه ، ويضمه ، ويقبله ، ويقبله ، ويعانقه كما قيل :

الشَّعر مثل الشَّعر داعية الهوى والشَّعر مثل الشَّعر ذخري يذخر
من غاب عنك فلست تنظره سوى بالشَّعر أو بالشَّعر وهو الأكثر
فإن قيل إنهم عشقوا ذلك طمعاً في وصال الحبيب الذي تفضل بهذه
النعم لا كلفاً بها من حيث هي هي .

قلت : ما المانع من أن تعشق الصغيرة طمعاً في أن تصير كبيرة .

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل .

ورُبَّ أمل أحلى من فوز .

وقد علم أهل الدراية أن من حرّمه الله من الجمال لغاية لا يعلمها
إلا هو ، عوضه عنه زيادة قصاص له بحدة الفكر ، والبصيرة ، وشدة
التصور ، والتخيل ، ودقة الحس . . فيكون أسرع إلى العشق ، وأكثر
حرصاً على أهل الجمال . . إذ الإنسان كلما بُعد عن الشيء المقصود ،
كان توقانه إليه أكثر ، وتولعه به أشد .

والمراد من ذلك كله أن نقول : إن « الفارياب » كان يعلم من صغره
أنه بمعزل عن الجمال ، وأنه من صباه كان يعظم أهله ويميزهن على
غيرهن ، وأن القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر :

وقالوا : يا قبيح الوجه تهوى مليحاً دونه السُّمر الرقاق

فقلت : وهل أنا إلا أديب فكيف يفوتني هذا الطباق

قالوا أو أقول أنا عنهم : وقد يكون عشق الصغير كبيراً ، كما يكون
عشق الكبير صغيراً ، فإن الصغير لما كان غير ذي رشد يردده عن
الاسترسال ، والتمادي في هواه ، كان هذا الاسترسال معقبات للجموع
دون حد . ألا ترى أن الصغير إذا ولع بشيء من اللعب واللهو . . فإنه
يتهتك فيه ، وينهمك غاية ما يكون ، فكيف به إذا جنح إلى شيء هو
أقوى من كل ما يستميل الطبع ويشوق النفس .

نعم . . إن الكبير يقدر منافع ما يقصده من معشوقه أكثر من الصغير . . ولذلك يكون حرصه عليه أبلغ ، وطلبه له أكثر . غير أن عزة نفسه ، وسورة طباعة ، ونهيته قد تمنعه من أن يسلم عنان مشيئته للهوى ، فيكون فى ميله وتوقانه تارة مقدماً رجلاً ، وتارة مؤخراً أخرى .

والصغير متى ما استرسل استسهل . . ويعد فقد نذرتُ على نفسى أن أكتب كتاباً ، وأن أودعه كل مارق لخاطري من القول سديداً كان ، أو غير سديد ، فإننى اعتقدت أن غير السديد عندى قد يكون عند غيرى سديداً ، كما تحقق لدى عكسه ، فإن شئت فاذعن أولاً ، فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف .

والحاصل أن « الفارياب » لبث يعلم سيدته الصغيرة ، وجعل من دأبه أن يتودد إليها بإغضاء النظر على اصطلاح غلطها .

بل لم يكن يرى أن صاحبة هذا الجمال يجوز ردها ، فتأخرت هى فى العلم ، وتقدم هو فى الهوس . . فمما قال فيها :

بروحى من أعلمه وقلبى أسير هواه لن يستطيع صبراً
أغار عليه وجداً من حروف يفوه بها فتلثم منه ثغراً

والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الياء الفارسية ، والفاء الأفرنكية ، وإلا لزادت غيرة صاحبنا . . أو ربما كان سبباً فى جنونه ، فإن الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما أفاده المشايخ الراسخون فى الزواج .

وهنا دقيقة . . وهى أن بعض العتاول جمع : عتول ، وهو من لا خير عنده للنساء يستثقل المؤنث فى الغزل والنسيب فيجعله مذكراً وبعضهم يضمه ، وعليه قول الفارياب أعلمه .

والظاهر أن المقدر فى ذلك لفظه شخص ، فىاليت هذا الحرف كان فى لغتنا مؤنثاً كما هو فى الفرنساوية والطيانية ، حتى لا يجد الناسب محيداً عن التأنيث .

فأما تعليم نساء بلادنا القراءة والكتابة فعندى أنه محمّدة بشرط استعماله على شروطه ، وهو مطالعة الكتب التى تهذب الأخلاق وتحسن الإملاء .

فإن المرأة إذا اشتغلت بالعلم ، كان لها به شاغل عن استنباط المكاييد ، واختراع الحيل .

ولا بأس بالمتزوجات بقراءة كتابى هذا وأمثاله ؛ لأنه كما أن ألوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم ، فكذلك هى ألوان الكلام .

والظاهر أن اللغة العربية شركٌ للهوى ، إذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصيبة ما لا يوجد فى غيرها .

فمما قرأت مثلاً فى شرح المشارق « لابن مالك » : أن مراتب العشق ثمانية .. أدها : الاستحسان ، وينشأ عن النظر ، والسماع .

ثم يقوى التفكير .. فيصير : مودة ، وهى الميل للمحبوب أى (المحبوبة) .

ثم يقوى .. فيصير : محبة ، وهى ائتلاف الأرواح .

ثم يقوى .. فيصير : خلة ، وهى تمكن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر .

ثم يقوى .. فيصير : هوى ، بحيث لا يخالطه تلون ولا يداخله تغير .

ثم يقوى .. فيصير : عشقاً ، وهو الإفراط فى المحبة ، حتى لا يخلوا فكر العاشق عن المعشوق أى (المعشوقة) .

ثم يقوى .. فيصير : تتيماً ، وفي هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقة ، أى (معشوقته) .

ثم يقوى .. فيصير : وكهاً ، وهو الخروج عن الحد حتى لا يدري ما يقول ، ولا أين يذهب ، وحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته .

قلت وأن من أنواعه أيضاً : الصبابة ، وهى : رقة الهوى والشوق .

والغرام : وهو الحب المستأسر .

والهيام : وهو الجنون من العشق .

والجوى : وهو الهوى الباطن .

والشوق : وهو نزاع النفس .

والتوقان : وهو بمعناه .

والوجد : وهو ما يجده المحب من هوى المحبوب أى (المحبوبة) .

والكلف : وهو الولوع .

والشغف : وهو إصابة الحب الشغاف أى غلاف القلب ، أو حجاب ، أو حبه ، أو سويداءه .

والشغف : وهو أن يغشى الحب شغفة القلب ، وهو رأسه عند معلق النياط منه .

والشعف : وهو بمعناه .

والتدليه : وهو ذهاب الفؤاد عشقاً . لم تتمالك أن تحس بهذه المراتب السنية كلها حالاً بعد حال ، بخلاف لغات العجم فإنها لا يوجد فيها إلا لفظة واحدة بمعنى : المحبة ، يطلقونها على الخالق والمخلوق .

وقد يظهر لى أن كثيراً من الصفات المحمودة فى الرجال تكون مذمومة فى النساء كالكرم مثلاً ، فإن كرم الرجل يغطى جميع عيوبه .. وهو مذموم فى المرأة .

وقسّ على ذلك النكر ، والدَّهَاء ، والإطراء ، والفُروسيّة ،
والشجّاعة ، والحماسة ، والصلابة ، والخشونة ، والهمة إلى المراتب
السامية ، والأمور الشاقة والأسفار البعيدة ، والنيات النائية ، والمطامع
المتعدرة ، وغير ذلك ! .

والعلة في ذلك .. كون المرأة تميل بالطبع إلى الشطط ، ومجاوزة
الحد ! .

وذليله في من تميل إلى العبادة والنسك ، فإنها لا تقف في ذلك على
أمد ، بل تتمادى فيه حتى تهوس وتتخبل ، فتدعى المعجزات
والكرامات ، وتعتمد إلى الرؤى والأحلام ، ويخيل لها أن ملكاً
يناجيها ، وهاتفاً يناغيها ، وأنها تُقيم بدعائها الأموات ، وتُحيى الرفات ؛
وربما قتلت أولادها على صغر ابتغاء دخولهم الجنّة بغير حساب ، أو
ولدت توأمين فادعت أنهما من غير أب ! .

وفى من مالت إلى الهوى .. فإنها تترك أباهها ، وأمها اللذين ولداها
وربهاها ، وتقبل أن تجرى في أثر رجل لا تعرف من صفاته شيئاً سوى
كونه ذكراً .

فكل ما كلفت به المرأة كانت فيه أكثر تمادياً من الرجل .

فكلّفهن بالقراءة لا أدري أين يكون مصيره .. والحامل لها على هذا
الغلو والشطط إنما هو معرفتها من نفسها أنها أقوى على اللذات من
الرجل .

فزيادة إطاقتها لذلك زادت في تماديها فيه ، ومنه سرى في غيره من
الأطوار والشئون والأحوال الطارئة وفي بعض الغريزية أيضاً ، وذلك
كالكلام والضحك ، والسبح ، والحركة .

وما قل منه فيها في بعض الأحوال ، فلأنك تراه زائداً في البعض
الآخر ، زيادة فوق القياس .

ولعل كلامى هذا يسوء النساء إذا سمعن به وهن بين الرجال : حتى
أعلم عين اليقين أنهن يضحكن له فى أكمامهن استحساناً وتعجباً ، حتى
كانى بهن يحسبن أنى عشت برهة من الدهر امرأة حتى أمكن لى معرفة
سرائرهم ، ثم مسخنى الله - تبارك وتعالى - رجلاً ، أو أنى علمت
ذلك من هند ، وسعاد ، وزينب ومية . . حين كنت أشبب بهن وأنا فتى
وأكذب عليهن بقولى لهن إنى حرمت الكرى ، وأجريت على نواهن
عبراً ، وأنى قد فتن لئى ، وفارقنى قلبى .

لا جرم أنه لم يفارقنى قط ، ولو فارقنى مرة ، لما رجع إلىَّ أبداً ؛
لأنى طالما أدخلت عليه هموماً وأحزاناً ، لم تكن لتهم أحداً من الناس فى
بلادى ، إذ كنت أحزن لتعصى معنى من المعانى على ، وأحاول اختراع
شئ من البديع لم يكن أحد سبقنى إليه ، ظاناً أنه يقوم للناس مقام هذه
المخترعات التى يزهى بها الكون عصرنا هذا فلم يتهياً لى ، فكنت أبيت
الليل فى يأس وكرب .

معاذ الله . . لم تكلمنى ، ، ما كلمت « هند » وإنما عرفت ما عرفت
من الأحلام الصادقة ، إذ كنت أبيت ، وأنا مخلص لله الإنابة ،
والقنوت . . فإن لم يصدقنى ، فليبتن ليلة أو ليلتين تائبات مثلى ، وأنا
ضامن لهن أنه يهبط عليهن من الأحلام الصادقة ما يوقفهن على أمور
الرجال ! .

٢ - العشق فى آراء ، الشدياق ، :

(مذاهب العشق والعشاق)

* و « لأحمد فارس الشدياق ، آراء أخرى فى مذاهب العشق
فيقول :

« أقول : إن المحبة هى مما غرس فى الطبيعة البشرية من يوم
الوضع فى المهد . . إلى يوم الوضع على النعش .

فلا بد لهذا المخلوق الأدمى من أن يحب ذاتاً من الذوات ، أو شيئاً
من الأشياء ، أو معنى من المعانى .

وكلما زاد حبه فى قسيم منها ، نقص فى قسيمه الآخر ، وقد يكون
أحدهما سبباً فى زيادة حبه للآخر .

مثال ذلك : من كلفَ بالشُّعر ، أو الغناء ، أو التصوير . . فكلفه
هذا يكون باعثاً له على حب الذات الجميلة .

ومن كلفَ بالعلم ، والقتال ، والفخر ، والسيادة . . فلا بد وأن
تقلَّ رغبته فى النساء ؛ بل ربما لهى عنهن بالكلية .

ومن كلفَ بالخيال المظلمة ، والسلاح النفيس . . فقد يكون كلفه
هذا شائقاً له إلى حُب الذات، أولاً ، وعدَّ بعضهم هذا النوع السريانية
وهم المنظفون للمراحيض ، وأسقطه غيرهم بدليل أنها حرفة يحتاج إليها
الإنسان لتحصيل معاشه ، لا كلف من هوى النفس .

فهذه ثلاث حالات متسببة عن ثلاثة أسباب ، وهناك أيضاً ثلاث
أحوال أخرى ، باعتبار القلة والكثرة وما بينها :

الأولى : متعادلة ، وهى أن يحب المحب محبوبه كنفسه . .
فلا تطيب نفسه بشيء ، ولا تهتئ لذة إلا إذا كان محبوبه مشاركاً له فى
تلك اللذة .

وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبعده ، ولا تخلو هذه الصفة عن
الرشد والبصيرة .

والثانية : المتعدية . . أى المجاوزة للمتعادلة ، وذلك كأن يحب
المحب حبيبه أكثر من نفسه ، وذلك صفة الأب والأم فى حُب ولدهما ،
وصفة بعض العشاق .

أما الأب . . فإنه يفدى ولده بروحه ، ويحرم نفسه من اللذات
والمسرات حتى يمتعه بها ، فإذا رأى نفسه عاجزاً عن الأكل والبعال ،
ورأى ابنه يأكل ويباعل . . لذّ له ذلك ، وهو مع هذا غير خالٍ أيضاً عن
الرشد والتمييز .

فأما العاشق فإنه قد يؤثر معشوقه على نفسه ، غير أن أفعاله تكون
مختلفة فى غير محلها ورقتها .

والثالثة : معلومة . . وهى أن يحب الإنسان محبوبه مع إيثار نفسه
عليه ، وهو الأغلب .

وهناك أيضاً ثلاث أحوال أخرى مكانية ، وهى : القُرب ، والبُعد ،
والتوسط . . ولها تأثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس .

فالصادق الودّ يحب فى حالتى القُرب والبُعد على حد سَوَى ؛ بل
ربما كان البعاد مهيّجاً له إلى زيادة الشوق والغرام ، وما أحسن قول من
قال فى هذا المعنى :

كَأَنَّ الْهَوَى شَمْسٌ أَبَى أَنْ يَرُدَّهَا مَهَاةٌ نَوَى لَا بَلْ بِهَا حَرَا

فأما الطرف الشنق فإنه لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً .

وثلاث أخرى زمانية ، وهى الصبى والشباب والكهولة .

فمحببة الصبى : أسرع وأعلق .

ومحببة الشباب أحر وأقوى .

ومحبة الكهولة أقر وأدوم ، والكهل يُقدّر محاسن محبوبه ومنافعه أكثر ، ومحبته له تكون أمرًا وأحلى ، فالمرارة لعلمه أنه قد عرّض نفسه للوم اللائمين ، وعذل العاذلين ، من الأحداث والأغرار ، ولإشفاقه دائمًا من ملل محبوبه إياه ، فقلبه أبدًا واجب ، وهمه بشأنه ناصب ، والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه .

ولكن هواه والحالة هذه راهنًا متمكنًا .. فهو يعتقد بمجامع قلبه أنه ساعٍ في أسباب سعادته وحظه .

ولها أيضًا ثلاث حالات أخرى باعتبار الاستطاعة ، وعدمها أعنى اليسر والعسر ، وحالة ما بينهما .

أما الموسر .. فإن محبته أبرد وأحول ؛ لأن غناه يحمله على استبدال محبوبه ، والتنقل من حال إلى حال .

فلتحذر النساء المحصنات هذا الصنف من الناس وإن ماس بهن ماسه ؛ إلا إذا كنا لا يخفن على سرهن وعرضهن ؛ لأن الغنى يستحل إفشاء الأسرار ، كما يستحل خزن الدينار ، وعنده أن كل شيء عبد درهمه ، وطوع نهمه ..

فأما الفقير .. فإن محبته أشط وألوع .. لأن فقره من حيث كان مانعًا له من إزالة الموانع التي تحول بينه وبين محبوبه ، لا يلبث أن يفضى به إلى اليأس ، أو الخيال ، أو الانتحار .

فأما المتوسط فإن حبه أعدل وأصح ، ولها أيضًا ثلاث حالات أخرى ، وهى الذل والعز والمساواة .

فالذل غالبًا : صفة العاشق .

والعز : صفة المعشوق .

ومن أعجب أنواع المحبة : الحب المختلط بالبغض ، وذلك كأن يهوى رجل امرأة وهى تهوى غيره ، وتتمنع عليه ، فيهيج بها وجدّه إلى

وصالها تشفياً منها ، فإن فاز بها ، غلبت محبته على كراهيته ،
وإلا فلا .. ولا يزال هذا دأبه حتى يسلو عنها .

والغالب أن المحب لا يسلو محبوبه إذا عامله بالصد والحرمان ؛
إلا إذا ظفر بأخر شبيه له فى خلقه وخلقه ، وهيهات ذلك .

فأما بواعث المحبة ، فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من قلب الناظر
موقعاً مكيئاً ، فتختلج فيه من محركات الوجد والشوق ما تخلجه
عشر مدة مديدة .

وعندى أنه لا بد ، وأن يكون المحب قد تصور فى عقله سابقاً صفات
وكيفيات من الحسن ، فصبا إليها حتى إذا شاهدها حقيقة فى ذات من
الذوات كما كان تصورهما علقَ بها قلبه وخاطره ، فكان كمن وجد ضالّة
ينشدها .

وقد تكون المحبة عن طول سماع عن شخص ، فيسترسل السامع
إليه شيئاً فشيئاً حتى يكلف به .

وأكثر أسباب المحبة : النظرة ، والعشرة .

واعلم أن كثيراً من الناس قد عشقوا الصور الجميلة فى الذكور
والإناث لغير دعارة وفسق ؛ وإنما هو ارتياح نفس ووجد بال ، ويؤيده ما
ورد فى الأثر :

« مَنْ عَشِقَ فَكْتَمَ فَعَفَّ فَمَاتَ مَاتَ شَهِيداً » .

والعاشق فى هذه الحالة يرضى من معشوقه بأدنى شىء ، فالقبلة
عنده نصر وفتح وغنيمة .

قال الشريف الراضى :

سلوا مضجى عنى وعنهما فإننا رضىنا بما يخبرن عنا المضاجع

قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعننى ، وقال ابن
الفارض - رحمه الله :

كم بات طوع يدى والوصل يجمعنا فى بردته التقى لا نعرف الدنسا
وهذا العشق يسمى عند الأفرنج (العشق الأفلاطونى) نسبة إلى
« أفلاطون الحكيم » ولا حقيقة له عندهم ، وإنما هو مجرد تسمية .
ويُعرف عندنا بالهوى العذرى ، نسبة إلى عذرة : قبيلة فى اليمن ،
لا إلى عذرة الجارية ، أى : بكارتها وافتضاضها وشيء آخر منها .
ويروى عن مجنون ليلى أنها أتته يوماً ، وجعلت تحدثه ، فقال لها :
إليك عنى فإنى مشغول بهواك .

وللمتنبى فى هذا المعنى :

فشُغِلْتُ عن ردِّ السلا م فكان شغلى عنك بك

وأحق النساء بأن تُعشَق وتعزز التى جمعت إلى حُسْن خلقها :
الأدب ، وحُسْن المنطق ، والصوت .. وأسعد الناس حالاً : من كان له
حبيب يحبه ، كما جاء فى بعض المواليات المصرية ، فإنه والحالة هذه يقدم
على أصعب الأعمال ، وأعظم المساعى ، ويباشرها من دون أن يشعر
بها ، لأن فكره أبداً مشغول بحاسن حبيبه ، فلورفع صخرة فى هذه الحالة
على عاتقه ؛ بل فنُداً ، لتوهم أنه رفع نعال محبوبه ، أو بالحرى قدميه .

ثم أنه مهما يلحق المحبة من طوارئ التنغيص والخيبة والحرمان ،
وخصوصاً مفضض الغيرة ، فإن عيش الخلى لا خير فيه ؛ لأن الحب
يبحث على المروءة ، والنخوة ، والشهامة ، والكرم ، ويلهم المحب
المعانى اللطيفة ، والخواطر الدقيقة ، ويكسبه الأخلاق المرضية ،
ويستوحيه إلى عمل شيء عظيم يذكر به اسمه ، ويحمد شأنه .. ولا سيما
عند محبوبته .

وقلما رأيت عاشقاً به جفاء وفضاظة ، أو رثاء وبلادة ، أو دناءة
وخساسة .

قال بعض المزهين وأظنه من التيتائين : لو لم يمنع من عشق المرأة
شيء بعد التعفف والتورع سوى الاضطرار إلى حبها ؛ لكفى لأن
الإنسان متى علم أنه مسخر لحُب شيء ، ومكتفٍ به ، ملءً بالطبع ،
ونفر منه .

قال : فيكون حُب المرأة على هذا مغايراً للطبع .. وهذا إذا كان
الرجل شهماً ، عزيز النفس ، عالى الهمة .

فأما الأوباش من الناس ، فلا معرفة لهم بقدر أنفسهم .. فهم
يتساقطون على حب المرأة حينما عنت لهم وكيفما اتفق .

قلت : هو كلام من لم يذُق الحب ، أو من كان مفرقاً ، ولو سمع
أنثى تقول له يوماً : احمل يا روى هذا الحمل من الخطب على رأسك ،
أو أحب يا عيني كالولد الصغير .. للباها حاملاً وزحْنَقاً^(١) ! ..

ثم إن للعشاق مذاهب مختلفة فى العشق :

فمنهم من يهوى ذات التصنع ، والتمويه ، والعجب .

ومنهم من لا يعجبه ذلك ، وإنما يؤثر الحسن الطبيعى ، وأن يكون
فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة ، إلى هذا أشار المتنبى بقوله :

حسن الحضارة مجلوب بتطرفة وفى البداوة حسن غير مجلوب
ومثل الأول مثل من يقدم له لون من الطعام ، وبه قسمة فيحتاج إلى
التفحية ، والتفتيت .

ومثل الثانى مثل من به سَيْفَنِيَّةٌ وسِرْ طَمِيَّةٌ^(٢) ، فلا يمنعه عدم التفحية

(١) الزحْنَقف : الزاحف على مقعده ..

(٢) سَيْفَنِيَّةٌ : طائر بمصر لا يقع على شجرة إلا أكل جميع ورقها .. والسرطم : الواسع الخلق ،
السريع البلع .

والتوايل من أن يسلو ، ويلوس ، ويلشى ، ثم يلحس قعر الجفنة بعد فراغه منها .

فأما رغبة بعض الناس فى الغفول والبلاهة فإنها مبنية على أن المحب لا يزال يقترح من محبوبته أشياء كثيرة تبعث إليها الحاجة ، فمتى كانت ذات دهاء وذكاء خشى أن تمّله وتحرمه .

ومنهم من يزيد فى المرأة غراماً إذا كانت ذات عزّة وشرّة ومعاصرة ، فيكون استرضاءها أدعى إلى النشاط والسعى ، وهذا ما يفعله فى الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة .

ومنهم من يعشق المرأة لاتّسامها بسمة شرف وسيادة أو وجاهة ، وذلك دأب ذوى الطموح والاستطاعة ، ومن هذا الصنف من إذا رأى امرأة وضيعة تشبه امرأة شريفة ، عشقها لأجل حصول المشابهة فقط .

ويقال لأهل هذا المذهب المشبهية ، وهو فى النساء أكثر .. فإن المرأة لا تكاد ترى رجلاً إلا وتقول لعله يشبه بعض الأمراء الغابرين ، أو الحاضرين ، أو الآتين .

ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينة ، وذلك شأن ذوى الرفق والركة .

ومنهم من يعشق من على طلعتها آثار الحزن والكآبة والفكرة ، وهو مذهب ذوى الحنين والطرب .

ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والأنس ، وهو خلُق المحزونين المبتسّين ، فإن النظر إلى مثل هذه ينفى الهم ، ويجلو الكرب والغم .
ومنهم من يعشق من بها مَرَح ونزق وطيش وثرثرة وقهقهة ، وهو دأب السفهاء والجهلاء .

ومنهم من يعشق المرأة لأدبها ، وفهمها وحسن كلامها ، ومحاضرتها ، وسرعة جوابها ، وهو مذهب العلماء والأدباء .

ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحُلَى ، والتأنق فى الملبوس ، كثيرة الغنج والتمويه ، وهو طريقة ذوى السرف والشطط .

ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهتره ، وهو شأن الفساق الفجار .

ومنهم من يعشق الخيتعور ، الشهوانية المتلعجة الطفسة ، وهو خُلُق من بلغ منه العهر كل مبلغ .

ومنهم من يعشق اللاعة الخريذة العفيفة ابتغاء أن يفسدها ، ثم يتباهى بذلك بين أقرانه ، فإذا رضيت له : ملأها ، أو أرادها أن تكون على غير تلك الحال وهو عندى شر من عاشق المتوهجة .

ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها فى محبوبته بحسب اختلاف الأحوال .

هذا فى الخُلُق ، فأما فى الخَلْق :

فالنحيف يهوى السمينه ، وبالعكس .

والأسمر يحب البيضاء ، وبالعكس .

والطويل يحب القصيرة ، وبالعكس .

والأملط يحب كثيرة الشعر ، وبالعكس .

أما النساء ، فأحب الرجال إليهن الفارس الأبتع . الشجاع الأروع .

فأما الغنى والفقر ، فلا ضابط لهما ، فإن الغنى يتهافت على حب الفقيرة ، كما يتهافت على حب الغنية .

بل البخيل من الأغنياء يؤثر حب الفقيرة طمعاً فى أن يرضيها بالقليل من المال .

والغالب أيضاً : إيثار حب الجليل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التى تتصور المخيلة وجودها فيه دون غيره ؛ إلا إذا منع مانع جهل بلغته فح يحصل للمخيلة انقباض فى تماديها .

وكما أن لطف النساء وقلفطتهن تعجب الرجال ، ولا سيما فى الفراش .. كذلك كان يعجب النساء من الرجال تراراتهم وشيظمتهم .. فلا تكاد امرأة ترى رجلاً على هذه الصفة إلا وتقول فى قلبها : عند هذا كفايتى وغنائى .

وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطول من الطول ، غير أن النساء على الأعم يعجنن اللذات من كل مجنى ، ويكرعن من مواردها ما ساع وما أغص ، فمثلهن كمثلى النحلة تجنى من الزهر وإن يكن على الدمن .

فأما الغيرة فهى خلق طبيعى فى كل بشر إذا كان سليم الذوق ، فإن الإنسان يغار على متاعه من أن يتهكه غيره .. فكيف على حرمة ! .

وما يقال من أن الإفرنجية ليس لهم غيرة على نسائهم ، فليس على إطلاقه ، فإن منهم من يقتل زوجته ونفسه معاً ، إذا علم منها خيانة . نعم إنهم يتساهلون معهن فى أمور كثيرة ربما تُعدُّ عند المشرقين قيادة ، إلا أنها نفس الأمر وقاية من الخيانة ، إذ قد تقرر عندهم أن الرجل إذا حظر امرأته عن الخروج وعن معاشرة الغير أغراها بالضمد ، بخلاف ما إذا أرضاها بهذه اللذات الخارجية .

ثم إنه لما علم اجتماع المستعسلين أى الفارياق والبنت خلافاً للعادة المألوفة . ذقت أمها من ذلك مرارة الصاب ، فاستشارت بعض أصدقائها فى أمرها ، فقالوا لها : لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لأنه من الخرجي ، وأنت من أعز بيت من السوقين وهما لا يجتمعان ، فقالت لهم : ليس هو من جرثومة الخرجيين ؛ بل هو دخيل فيهم .

قالوا : لا فَرْقُ في ذلك رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأت
خياشيمنا ، وحذروها منه غاية التحذير ، مع أنى قد حذرتهم وأمثالهم .

فلما عَلِمَت البنت بذلك .. نبض فيها نبض الخلاف ، وقالت : ليست
هذه الفروق من مصالح النساء ، وإنما هي مصلحة من اتخذها وسيلة
للمعاش والجاه والمقصود من الزواج ؛ إنما هو التراضى والوفاق بين
الرجل والمرأة ، وإن أبيتم ذلك فما أنا أنذركم أنى لست من السوقيين
فى شىء .

فراَت أمها أن تغيب بها أياماً عن ذلك المحل رجاء أن يبعثها البُعد
على السلوان ، فهاجت مع جمع عواطف الهوى فى كل من العاسل
والمعسول ، وإليه أشار « أبو نواس » بقوله : دع عنك لومى .. فإن
اللوم إغراء .

فلما رأت الأم أن لا إشارة تمنع البنت من الاشتيارة ، ولا جَزْر يكفها
عن الجزر^(١) .. رجعت إلى منزلها واستدعت بالفارياق وقالت له : قد
علمت أن السوقيين لا يبخون مصاهرتها ، فإن كان عزمك على أن تتزوج
ابنتى ينبغى لك أن تتسوق ولو يوماً واحداً .

قال : لا بأس ، فعلى هذا تسوق يوم عقد الزواج ، وقرت عين كل
منها ومن البنت .. ثم أحضرت آلات الطرب ليلاً ، وأديرَت الكؤوس ،
وزَها مجلس الأنس والسُرور ، والفارياق مواظب فيه على خدمة إدارة
الكأس ومُعِيد على العازفين الإطراء ، وقولة آه وإيه ، حتى إذا كَلَّت يداه
ولسانه ، ورأى أن عزم الشرب أن يسهروا الليلة كلها إلى الصباح ، انسل
من بينهم ، وصعد إلى السطح لكى يستريح ، وكانت الليلة مقمرة من
ليالى الصيف .

(١) الجزر : شور العسل من خليته .

فلما أبطأ عليهم ، ظنوا أنه تفلت من الأربة ، فأخذوا في التفتيش عليه كما يفتش على امرأة فالك أو فارك ، فلما وجدوه وعلموا أن نيته مخالفة لنيتهم ، أخلوا لهم ولعروسه حجرة ، وهموا بالانصراف ، فقالت الأم : لا .. أو تنظروا بأعينكم البصيرة^(١) ..

وسبب ذلك : أن عادة أهل مصر في الغالب : هي أن يتزوج الرجل المرأة من دون أن يعاشرها ويعرف أخلاقها ، وإنما ينظر إليها نظرة واحدة بأن تناوله مثلاً فنجان قهوة ، أو كأس شراب بحضرة أمها ، فإن أعجبه .. خطبها من أهلها ، وإلا كفَّ رجلاً عن زيارتهم .

ومنهم من يتزوج ، ولم يكن رأى امرأته قط ، وذلك بأن يبعث إليها أمه ، أو عجوزاً من أقاربه ومعارفه ، أو قسيساً .. فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم ، والغالب أن أم البنت ترجو القسيس ليحيد صفة بنتها ، فيرغب الرجل في التزوج بها .

ومنهم من يتزوج امرأة قاطنة في بلاد بعيدة فيبعث إلى أحد معارفه في تلك الجهة ليصفها له في كتاب ، ثم يستخير الله ويرتبق ، ومع ذلك فإن عيش هؤلاء المتزوجين على هذا النمط يكون هنيئاً .

فأما في بلاد الشام .. فعادة أهل المدن كعادة أهل مصر ، وعادة أهل الجبل مغايرة ، فإن الرجل يكون هناك يتمكن من رؤية المرأة ومعرفة أخلاقها .

هذا .. ولما كان الفارياب قد تعدى حدود العادة بمصر في كونه اجتمع بالبنت مراراً عديدة في حضور أمها وفي غيابها . أرادت أمها أن تنفي عنها العار بإظهار علامة البكارة ، حتى يشيع خبر براءة البنت في جميع البلاد ، فإن أكثر الناس لا شغل لهم إلا الكلام .

(١) شيء من الدم يستدل به على الرمية ودم البكر .

فاجتمعت الزُمرة وراء الباب بعد أن جمعوا بين العروسين ، و طَفَّق
الواحد منهم ينادى ويقول : الفتح الباب يا أبا مزلاج .

فظن الفارياق أنه يريد الدخول عليهما ليعلمه كيف يكون العمل .
ففتح له فقال له : ما هذا الباب عنيت ، وإنما أردت باب الفَرَج .

فرجع إلى عروسه ، وإذا بأخر يقول : لج القبة يا ولاج .

وآخر : ثجر الطعنة يا بجاج .

وغيره : أرو الصدى يا ثجاج .

وآخر : أزل الزَغَب يا حلاج .

وغيره : أفرغ السَجَل يا خلّاج - أسرع الوطاء يا زلاج - املا الوطب
يا زماج - ملل الملمول يا معّاج - أغطس في اللجة يا غاطس - افقس
البيضة يا فاقس - أجل المسواك يا وامس - تسور السور يا معافس -
روّض المهرة يا فارس .

وما زالوا به حتى شام أبا عُميرة ، وناول أمها البصيرة .

فتهللت منهم الوجوه فرحا وحبورا ، وشفقت الأيدي استبشارا
وسرورا، ونطقت الألسن بالتبرئة . وختموها بالتهنئة ، ثم
انصرفوا ، كأنهم قد قفلوا من غزوة نائمين ، وكادت الأم تطول عن
الأرض شبرا لهذا الفتح المين ..

و « الناس فيما يسلكون دروب العشق والزواج .. مذاهب » .

* * *



العشق
عند عباقرة
القرن العشرين

العشق

هو الحب ذو الغايات الثلاث^(١)

(تعريف العشق) - العشق : إفراط الحب ، وتعريفه : انجذاب النفس إلى الشخص الجميل ، ولا يكون إلا بين رجل وامرأة فقط ؛ لأنه مهما اشتد الحب بين غيرهما ، فلا يشابه العشق ولا يبلغ إلى درجته ، وقد عُلِمَ أن أول حُب ، كان بين الرجل والمرأة ، وكان في بادئ أمره متردداً لا يكاد ينعقد حتى ينحل ، ثم ينعقد فينحل .. وهلمَّ جرّاً .. تبعاً لحركة الشهوة الحيوانية ..

ثم جاء التآلف فوطده ، وجعله ملازماً ؛ ولكنه بقي بسيطاً فاتراً إلى أن ترقى الذوق العقلي في الإنسان إذ تهذبت أخلاقه ، وتدمشت طباعه على مرور الأيام .. فجاء الجمال موقداً لنيران الحب ، فبلغ الحب إلى درجة « العشق » .

(الشعور الأول بالعشق) : بحسب مبدأ الوراثة أصبح الحب على مرور الأجيال فطرياً في الإنسان ، يكمن فيه منذ نشأته إلى أن يدرك الإنسان سن البلوغ ، فيشعر به عفواً لأقل طارئة ، وربما شعر به وهو غلام صغير ، وذلك أنه يجد في نفسه ، ميلاً إلى الجنس اللطيف إذا كان فتى ، أو إلى الجنس النشيط إذا كان فتاة من غير أن يهوى شخصاً بعينه ؛ بل يقيم في مخيلته خيال محبوب يتعشقه ، ثم يتدرج إلى المغازلة فيعلق شخصاً معيناً .

(١) نقولا بن الياس بن نقولا حداد (١٢٨٩ - ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٥٤ م) .

ويؤيد ذلك خلو الشغف الأول من غاية الحب القصوى أى الوصال بأقصى معنى .. فالفتى مثلاً فى أول شغفه لا يتمنى من محبوبه إلا أن يعلم أنه يحبه .

وهو يشعر بقناعة نفسه بهذه الأمنية لأنه لا يكون قد فهم بعد « الغاية » التى جعل الحب وسيلة لها ، أو ربما ظنها شيئاً ثانوياً معلولاً للحب لا علة له أو داعياً إليه ؛ ولكنه لا يلبث أن يطمع بأكثر من ذلك متى استمال حبيبته إليه ولا يقف طمعه إلا عند الوصال .

وبما أن الشغف يظهر فى أوائله غير متجه إلى الغاية يعتبر مستقلاً عن الحب الأصيل القديم ، أى الميل المتبادل بين الجنسين . . إلى التزاوج فقط ، وهو لا يظهر إلا حينما يطمع العاشق بالوصل .

وظهور الشغف قبل الحب الأصيل يثبت أن الشغف أصبح أرسخ فى طبع الإنسان من الحب المذكور ، وأقوى منه . . مع أن هذا الحب طبيعى .

والعشق فى الأصل اكتسابى ؛ لكنه نشأ ، ونما مع الزمان إلى أن تأصل ، وصار أشد من الحب . .

(غاية العشق) : قلنا مما تقدم أن الغاية من الحب المتبادل بين الرجل والمرأة فى الأصل إنما هى الوصال بأقصى معناه .

ولهذا كان الإنسان قديماً كالأعجم أى أن الرجل يميل لأى امرأة ، والمرأة تميل لأى رجل بلا تمييز أو استحباب .

وتعدد الزوجات وتعدد الأزواج (عند بعض الأمم) ، والطلاق . كل هذه من آثار هذا الحب .

وغاية العشق فى أوائله : التمتع بالجمال فقط وهذا هو سبب الانتخاب الشخصى . . أى أن الرجل يعشق امرأة معينة . . والمرأة تعشق رجلاً معيناً .

فالحب إذا بين الجنسین اللطیف والنشیط .

والعشق بین شخصین کزید وهند .

على أن العشق لا یلبث طویلاً قبل أن یصیر مشتملاً على الحب ،
وعاضداً له .. فیصیر صاحب الغایتین معاً : التمتع بالجمال .. والتلذذ
بالوصال .. وبالنزواج یتوفى الغایات الثلاث .

مبادئ العشق^(١)

للعشق أحوال يُعرف بها ، ونواميس يجرى عليها تُعرف بمبادئه ..
وهاك أهمها :

١ - التمتع بالجمال :

العاشق لا يهوى محبوبه لابتغاء نفع أو اتقاء ضرر .. بل لارتياح نفسه إلى جماله فى بادية الأمر فيتمنى أولاً أن يراه .. ثم أن يكون رفيقه الدائم .. ثم أن يواصله .

٢ - الحنين :

عواطف العاشق الغرامية تهيج عند انتباهه إلى حبيبته وتذكره جماله فيصبر إليه ، ويتوق إلى لقائه ، ويكثر من المحادثة عن كمالاته ، وضروب جماله حتى أنه مهما كان موضوع حديثه مع صديقه يحوله إلى الحديث عن حبيبته .

٣ - الإصرار :

عواطف العاشق تستولى على إرادته حتى لا يستطيع أن ينفك عن عشق محبوبه ، مادام يعتقد أن فيه جمالاً .. ولذلك فلا يصغى إلى كلام العذل والوشاة مهما تقولوا ، ولا يمكن أن ينفك عن عشق حبيبته إلا إذا غيّر اعتقاده ، وهيئات أن تقبل التغيير .

٤ - الإحساس مع الحبيب :

العاشق يلاحظ انفعالات محبوبه وحالاته فيفرح ، ويحزن معه ليزيد فرحه أو يخفف حزنه فكان بينهما اتصالاً محسوساً حتى ينفعل كل منهما مما ينفعل منه الآخر .

(١) نقولاً حداد (١٢٨٩ - ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٥٤ م) .

٥ - الاسترضاء :

العاشق يحاول إرضاء حبيبه واسترضاءه ما استطاع فيجتنب كل ما يسيئه ، ويأتي كل ما يسره طوعاً لعواطفه لا لإرادته . . ولهذا يتوقع أوامر حبيبه ، ويُسير أن يطيعها . .

٦ - الإيثار على النفس :

العاشق يؤثر خير حبيبه على خير نفسه ، ويذل كل مرتخص وغال لمصلحته . . لأن مبالغته بكرم النفس تثبت إخلاصه وشدة غرامه ، وتستعطف حبيبه عليه مكافأة له على هذا التفاني . .

٧ - فخر العاشق بحسنات حبيبه والتعاضد عن سيئاته :

العاشق يعمى عن سيئات حبيبه ، فيراه كله حسنات أو كل الحسنات مجموعة فيه دون سائر الناس . . ولهذا يفتخر به كما يفتخر بنفسه ، ويفتخر بفوزه دون غيره بحب حبيبه وانعطافه .
وقلما يُسر المرء أن يكون محبوبه أفضل منه . . ولهذا يجتهد أن ينافسه ولكنه لا يحسده .

٨ - المدح :

العاشق يبالغ بإطراء محاسن حبيبه ومحامده ومآثره .
والنساء أكثر إطراء من الرجال ، ويغلب أن يتذرعن بالإطراء إلى التحبيب ، فيُظهرن الإعجاب بشجاعة الرجال وكرمهم وذكائهم ومواهبهم إلخ . . فيجتهد الرجال بكسب المزايا الحميدة طمعاً بإعجاب النساء .

ولهذا . . كانت نساء العرب يحضرن مواقع القتال ليُثرن النخوة في رءوس الرجال .

٩ - التشبه :

العاشق يحاول أن يحاكي حبيبه بأخلاقه وعواطفه . . وأن يتصف بصفاته إذا كان أرقى منه لكى يستميله إليه بالصفات التى هى فيه ، ويغلب أن يكتسب العاشق من حبيبه أحسن صفاته .

١٠ - الغيرة :

١ وهى إباءة العاشق أن يميل حبيبه إلى سواه ، ولا شئ أنكى له مثل ذلك . . بل هو أصعب الأمور عليه .

وقد يفتخر بعض العشاق بسبب الغيرة أو يجنون أو يسقمون .
وقد تبلغ غيرة بعضهم أن يكبر عليه أن تميل زوجته إلى غيره بعد مماته .

فقد حكى عن أحدهم أنه طلب إلى زوجته وهو يحتضر أن يقبلها قبلة الوداع . . فعصها لئشوة وجهها . . حتى لا يتزوجها أحد بعد مماته .
ويقال : إن الغيرة ملح العشق ، فإذا تجاوزت حدّها ، أصبحت مكروهة من الحبيب ، وانقلبت إلى عدا .
والغيرة أفضل دلائل العشق .

١١ - العفة :

وهى اقتصار العاشق على عشق حبيبه فقط ، وهى تلازم الغيرة لأن الغيور الذى يكره أن يميل حبيبه إلى سواه ، لا يميل هو إلى غيره .
ولا يشذ عن هذا المبدأ إلا الشره ، وعشق الشره أقرب إلى البهيمية منه إلى الإنسانية .

أما مدة العشق ، فلا ضابط لتحديدّها إلا مدة تلاؤم الحبيب .
يقال : إن « جميلاً » بقى يشبب بعشيقته « بثينة » نحو عشرين سنة إلى أن قضى فى عشقها .

وليس ما يخفف الشغف مثل الفراق والالتواء عن الحبيب بشيء آخر ، ولهذا قيل : « البعد جفاء » .

قال « باكون » الفيلسوف الإنكليزي : « إن أرباب الأعمال الخطيرة قلما يعلقون في شرك الهوى » .

وقال « أوفيه » الشاعر الروماني : « البطالة سبيل الحب » . .

١٢ - الدلال :

تظاهر العشيق بعدم الاكتراث بالعاشق ، ويكاد يختص بالنساء والغرض منه إثارة الوجد ؛ لأن العاشق متى كان متأكداً من حب عشيقته ، ورأى منها دلاً ، وتيهياً ، يزداد ولوعاً بها لأن « كل ممنوع متبوع » .

ويقال : إن علّة الدلال في الأصل عادة قنص النساء قديماً ؛ لأن المرأة كانت إذ ذاك كالخادمة الرقيقة (ولم تزل عند بعضهم كذلك) فكانت تهرب من الزواج احتفاظاً بحريتها ، وحرصاً على راحتها ، وكان الرجال يطاردونها ليقتنصوها . . ومن ثم صاروا يشترونها من أبويها وهي تتمنع إلى أن تملك في هذه العادة وتوارثها الجنس كله ، وصارت الفتاة ترفض طالبيها بالغريزة والحياء من آثار هذا الرفض .

أما الأوروبيات فقد خلعن برقع الحياء ، وجعلن يقتنصن الرجال اقتناصاً ، ولا بدع بذلك لأن السبب عينه قد انعكس ، إذ أصبح الرجال عبيد النساء في عصر المدنية . . فصاروا يهربون منهن ، وأولئك يشترونهم بالمال أي بالبائنة (الدوطة) فسبحان مبدل الأحوال .

١٣ - المداعبة :

كثيراً ما تلذ المضاجرة للعشيقين . . فيكايد أحدهما الآخر ، متظاهراً بأنه يقصد إغاظته ، وهو بالحقيقة يتحاشاها ، ولا يجراً على

مكايدته إلا لعلمه أنه (أى عشيقه) عالم بأنه لا يقصد من المكايدة إلا المداعبة .

ولهذا يتظاهر العشيق بأنه اغتاذ ، فيغضب ، ويجفو بحسب الظاهر ؛ ولكنه يضطرم حُباً في الباطن . . وهكذا يفترق العاشقان على جفاء ، وعما قليل يحاولان أن يجتمعا مصادفة ، فتومض من خلال عبوسة كل منهما ابتسامة ، فيتعابان ، ويكون العتاب تفسيراً جديداً للواعجهما وأشواقهما .

وهكذا يقضيان أيام الهوى بين تودد وتجاف .

والغرض من المكايدة أو المضاجرة فى الأصل إنما هو امتحان كل من العشيقين الآخر ، ليعلم مبلغ حبه ، وما إذا كانت الطوارئ تُغيّره أو إذا كانت الظواهر تُغيّر الظنون وتفسد النوايا . . ثم تسوّهل بها ، فصارت تستخدم للمداعبة .

١٤ - العتاب :

العتاب يساوى الغيرة ، وكذلك قيل : « العتب على قدر الأمل » .

ويكثر العتاب بين الحبيبين لا لشك أحدهما بإخلاص الآخر ؛ بل للتذرع به إلى إثاق المحبة . . ولهذا يليه التسامح سريعاً ، وقد يكون العتاب امتحاناً للحب إذ يُلاحظ العاتب درجة اعتذار المعتوب عليه ، وعليها يقيس مقدار حبه .

وقد يستبكي المحب حبيبه بعتابه لأنه يرى بكاءه مظهراً من مظاهر الجمال ، أو يتذرع به إلى الإشفاق والانعطاف ، ونحو ذلك . . وإذ ذاك يكون العتاب صنفاً من المضاجرة .

وقد يكون الباكي متباكياً . . تفنناً فى التحجب ! .

(حالات العشق ومذاهبه)

للعشق حالات عديدة مختلفة باختلاف الأشخاص والظروف المكانية والزمانية ، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره تماماً ، وهاك أجلاها :

١ - العشق باعتبار السن :

عشق اليافع : أسرع وأشد وأقرب إلى الانحلال ؛ لأنه لا رأى فيه للبصيرة ، إذ يغلب فيه هوى النفس على العقل .
وكلما تقدم الإنسان في السن اعتدال عشقه ، واستتب ، وكثر صده ، وتودده ، ورقته .

فعشق الشاب أمرٌ أقوى . . وعشق الكهل أثبت وأدوم . .

٢ - العشق باعتبار الزواج :

العشق قبل الزواج : أشد وأمرّ ، والغاية منه : التمتع بالمجال والوصال ، وبعد الزواج : أكثر اعتدالاً ، والغاية منه : التضامن والتعاقد والتمتع بجمال الخلق والوصال .

على أن الرجل أكثر حباً من المرأة قبل الزواج ، لتمنُّعها وصعوبة الوصول إليها ، وهى أكثر حباً منه بعد الزواج ، لحاجتها إليه .

٣ - العشق باعتبار المكان :

يختلف عشق الناس في حالتى القُرب والبُعد . . على أن الغالب أن يشتد الحب بالقرب ، ويفتر بالبعد .

ولهذا قيل : « البعد جفاء » ولكن أخلص الحب أدومه في البعد ، وأشد الوجد عند تعذر الوصول إلى الحبيب الحاضر . .

٤ - العشق باعتبار الجاه والثروة :

الفقير أثبت في العشق من الغنى ، لتعذر حصوله على أحبائه كثيرين . . فحبيه عنده كل الدنيا ليعجزه عن الوصول إلى غيره .

والغنى أفتّر فى العشق وأحول عنه ، لاستطاعته استبدال حبيبه
بآخر . . إذا اقتضى أمرٌ .

فمحبوب الفتى الغنى عُرضة للهوان . . ومحبوب الفقير
سلطان . . وهناك حالات عديدة يتعذر حصرها ، وكلها تتمشى على
ناموس . . فلكل أن يلاحظها ويتفلسف بها كما يشاء .

٥ - مذاهب العشاق :

للعشاق مذاهب مختلفة لاختلاف أخلاقهم وأمزجتهم
وأحوالهم . . ولولا هذا الاختلاف لما كان التحاب ، وهاك أشهر
المذاهب :

العاقل يعشق المتجمل بأدبها وحشمتها وحسن أخلاقها ؛ لأنه ينظر
إلى مصلحة نفسه .

والجاهل يعشق المتبرجة ، لأنه يطاوع شهواته .

وذو الطبع الشعري يهوى المتصنعة المتبرجة ؛ ليتخيل محاسنها
ويتشرب بجمالها .

والفيلسوف يهوى ذات الجمال الطبيعي ؛ ليناجى عواطفها .

والمفرغ للعشق يهوى المعجبة المتمنعة ؛ لينشغل باستعطافها .

والطامح إلى العلى يهوى ذات الجاه والشرف .

والطامع بالدنيا . . يهوى المثرة .

ورقيق العواطف يهوى المتمسكة الضئيلة ؛ ليعزها .

والطروب قد يهوى الكثيبة المبتثثة ، ليسرها .

والشجي يهوى الأنيسة المطلقة الوجه ؛ ليستأنس بها .

والمسرف يهوى المتأنقة باللبس ، والتحلى إذ تسهل عليه استمالتها .

والفاضل يهوى المتعفة المحتشمة .
والشهواني يهوى المتهتكة .
وضعيف الإرادة يهوى المتدلة لأنها تفتنه سريعاً .
وفى الأمزجة يغلب أن يكون الحبيبان مختلفين :
فالسمين يهوى الهزيلة ، وبالعكس .
وذو المزاج الدموي مثلاً يهوى ذات المزاج العصبي ،
وبالعكس . . إلخ .
وما قيل عن الرجل يقال عن المرأة .

(تأثيرات العشق)

تأثيره فى القلب :

يشعر العاشق بلذة فائقة فى عشقه ، يحتمل لأجلها كل ما يلاقه من هوان الهوى ، ولواعج الغرام .

، ومنشأ هذه اللذة : الأمل بالتمتع بالحبيب ، والأمل بصور المأمول مجسماً جداً . . ولهذا تكون لذة العاشق بالوهم أضعافها بالحقيقة . . فمتى أدرك المأمول . . خمدَ وجده .

تأثيره فى العقل :

يقال : إن العشق نوع من الجنون ؛ لأن العاشق يشابه المجنون بالإصرار على رأيه ، وهو يتجاوز حد الاعتدال فى أكثر أحواله ، ويضحى مصالحه فى سبيل عشقه ، ويضحى حياته . وقد يشتد غرام بعضهم فيذهب بعقله .

تأثيره فى الصحة :

يستولى على العاشق الأرق لتنبه أعصابه الدائمة وتقل قابليته للطعام لانشغال باله ، فيسقم ، ويضنى ، ويسهل على العلل والأمراض أن تتمكن فيه ، ولا دواء فى مثل هذا الحال أفضل من الفراق .

وإذا كان العشق لغاية نبيلة كانت تأثيراته شريفة وهاك أهمها :

تأثيره فى الإرادة :

العشق سلطان لا مردّ لأحكامه . . يستعبد العاشق فيستسلم ، وينقاد لحبيبه انقياد الجواد لمتطيه .

تأثيره فى الطبع :

الحب يلين الطبع ، ويدمئ الخلق . . لأنه مهما كان المرء شرساً فلا يعامل حبيبه إلا باللطف والرقه واللين ، ولو تكلفاً لكى يرضيه ويعجبه ويستعطفه .

ومع الزمان وتكرار هذه المعاملة ، يتعود تلك الصفات والعادة ملكة فتصبح معاملته لسائر الناس ألطف منها قبل العشق .

تأثيره فى المحاضرة :

الحب يعلم المحب آداب المجاملة ويفتح ذهنه ويفك عقلة لسانه فى التخاطب لأن الحال يضطر المحب أن يكون أنيساً ، ظريفاً فى عشرة محبوبة ، فصيح اللفظ ، عذب الحديث ، سامى الفكر ، طاهر اللسان لكى يعجبه ، وكل ما ينقصه من هذه الموصوفات يتعود الاتصاف به تدريجياً . .

تأثيره فى الآداب :

الحب يؤدب المحب إذ يضطره إلى الظهور بمظهر الفاضل لدى حبيبه لكى يعجبه ؛ ولذلك يجتهد العاشق أن يكون أديباً فى كل حال ، وكريم النفس ، وحسن السيرة .

تأثيره فى المقام :

الحب يدفع المحب إلى أن يرفع مقام نفسه فى الهيئة الاجتماعية ليرضى حبيبه ، فيجد وراء الثروة ليكسب بها الجاه ، ويرغب فى العلم ليكمل مقامه ، ويحلى وجاهته .

تأثيره فى السيرة :

الحب يصون المحب من البطالة واللهو والفجور لأنه يشعر أنه مدين بالعفة لحبيبه ، والمحب يلهى بعشرة حبيبه عن كل عادة سيئة ومضرة ويقنع بلذة الآمال .

تأثيره فى الهيئة الاجتماعية :

¹ يستفاد مما تقدم أن للحب تأثيراً فى الهيئة الاجتماعية ؛ لأنه يضطر كلاً من الرجل والمرأة أن يظهر بمظهر يستحبه ويستحسنه الآخر .

وإذا بحثت عن أسباب تزايد الكماليات واهتمام الإنسان بها اهتمامه بالحاجيات ، رأيت أن السبب الأكبر هو الحب .

فلولا هذا الميل المتبادل بين الجنسين لَمَا كان الناس يجدّون وراء الغنى ، ليلبسوا الحرير ، ويتحلوا بالجواهر الكريمة ، ويسكنوا القصور الشاهقة ، ويزينوا القاعات بالرياش الفاخرة .. بل كانوا يكتفون بأبسط المعاش ، وأفضلها للراحة والهناء .. وما حاجة الإنسان إلى الحلّى النفسية والملابس الفاخرة ، وكل أدوات الجاه والعز .. أليس على الغالب ليعجب حبيبه ويستميله إليه بمحاسنه وحسناته ، ولقد صدق من قال : « الحب أعظم ما فى الوجود » .

* * *

١ - العشق عند « مصطفى صادق الرافعي » :

(من هو العاشق ؟)

* يقول « مصطفى صادق الرافعي » : (١٨٨٠ - ١٩٣٧) :

- « لو سألتني « من هو العاشق ؟ » لأجبتك إنه لن يكون عاشقا إلا من أحس أنه قُذِفَ به في الابتسامات والنظرات بمرة واحدة إلى مهبط السموات ، فيشعر أن نعيمه هنا من نعيم الأرض ، وأن عذابه أشد من عذابها ، وكأنه - إذ يتنعم - لم يُصب أسباب النعيم .. بل أسباب الخلود في الجنة ، واذا يتألم ، لم يجد مادة الألم ، بل مادة نارية خالدة على قلبه .

« كذلك .. لا يبدأ الحب إلا من آخر الدنيا ، فهو - دائما - على طرفها ، ولو نصب ميزان الآخرة لعاشق من العشاق المتيمين ، ووضعت كُرَّة الأرض - بكنوزها وممالكها - في كفة منه .. ثم وضع حبيبته في الكفة الأخرى ، لرجحت هذه عنده ، لأن فيها حبيبته وقلبه ، وبقيت الأخرى كأن لم يكن فيها شيء ، وإن كان فيها المشرق والمغرب ! .

« وأعجب من هذا .. أننا نجد - من الزهاد والمتسكين - من يقطع دهره كله متعبدا ، منصرفا عن الدنيا إلى ما بعدها ، جاعلا لسان حواسه الأرضية ^(١) دائما سماوى اللفظة ، ثم لا يجد - مع هذا النسك وهذه الروحانية - من يقول إنه كالملائكة .. على حين أن الكلمة الأولى التي يقولها العاشق في وصف حبيبته ساعة يمس قلبه : إنه مَلَك ، وإنه من السماء ، وإنه قانون من قوانين القدر ، وإنه الوجود كله مختصرا في نفس إنسانية ، والطبيعة كلها ممثلة في ذات لذات أخرى ، وإنه مظهر من مظاهر التقديس ، لا تحيط به إلا معاني الجلال والعبادة .. فلا يزال القلب يركع أمامه ويسجد » !!

* * *

(١) كناية عن الرغبات والشهوات ؛ لأنها هي نطق الحواس ولغتها .

* ويقول « الرافعي » :

- « الحبيب محدود بعاشقه فقط ، وهذا مثال يقرب للعقل كيف يفهم الخلود الذي لا يفنى ولا ينتهى .. لأنه - أبداً - ممتد مع الخالق الأزلى الذى لا ينتهى ولا يفنى » !

* * *

(نظرة عشق)

* ويقول « الرافعى » :

- إن شيئين هما أروع ما نعرف وما نجهل : أحدهما ذلك المجهول الأعظم المتبسط وراء العقل يتراعى قفراً فى قفر ، إلى ما لا نعقل من أسرار اللانهاية ، والثانى ذلك المعروف الأعظم المختبىء وراء القلب يتعقد صفة فى صفة إلى ما لا ندرك من أسرار النفس .

وفى ذلك التعقيد . . تلمس الروح وضوح الألوهية ، ونعيم الجنة الخالد ، وفى هذا التعقيد النفسى يلتمسون وضوح الحب ، ونعيم الحبيب للمعشوق .

كل ما فى الكون هو من الضرورات لوجود الكون ؛ لأنه ممتلىء لا ينقص ، وما كان ضرورياً فهو مذهب واحد ليس فيه ما هو أكبر ضرورة ولا ما هو أصغر ، الكبير الكبير ، كالصغير الصغير ، ولو كان مكاناً ليس فيه نفسٌ واحد من الهواء لقتل الحى كما يقتله انتزاع كُرّة الجو كلها من مخارق هذا الفضاء ^(١) .

وكل ما فى الحبيب هو من ضرورات عشقه إن صح العشق ، فكأنما هو يتجه أيضاً مع الكون إلى اللانهاية ؛ بل كان كل حبيب فى خيال محبه إنما هو الوسيلة التى استطاع الكون أن يُعبر بها عن جماله لإنسان فى إنسان ببلاغة تختلف مع الأذواق ، كما تختلف البلاغة الإنسانية ، هذه يقولون فى تعريفها إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وتلك يقول الكون نفسه فى تعريفها إنها مطابقة الشكل الجميل لمقتضى الإحساس .

(١) أى من حيث ينخرق الفضاء ، أى منه كله .

يضيق هذا الكون ، ثم يضيق حتى كأنما يجتمع عند العاشق وحده ،
وبهذا لا تجد حبيباً إلا بلغ عند محبه ما تنهى إليه الحسن فى أرضه ، فى
المعشوق وسمائه ، حتى لهو الشمس والقمر وكل ما جرت فيه أشعثهما
من ذهب الجمال وفضته ، وبذلك جمعت اللغات أحسن ما فى الكون
وأجرتة فى تشبيهات الحبيب وألفت من ألفاظه لغة الحب .

فهل يكون فى العقل من هذا ، ومن ذلك إلا أن الكون قد تناول
النفس العاشقة حين ضاق ثم ضاق ، فوسّعها ثم وسّعها حتى أفاضها من
معانى الحبيب على المعانى الأزلية ، وجعل عهدها بالحب أياماً فى لذتها
أو نكدها كأنها ليست من أيام هذه الدنيا ؟

لعمري لو أمكن أن تاتى إلى الأرض رسالة من إحدى الحُور العين
فى السماء ، لما أمكن أن يتلقاها إلا عاشق على شفتى حبيبته أو خدّها ،
ولو بعثت المحميد برسالة من زفيرها وشهيقها ، لما وقعت إلا فى صدر
عاشق يتلهف من هجران حبيبته أو صدها !

فى الكون حياة أبدية فياضة لا تفتأ تعمل بالسلب والإيجاب ، كأن
هذا الكون العظيم يتحول فى كل لحظة ليخلق ، فهو فى كل لحظة صورة
جديدة ، وما كان فيه سلباً فهو الذى يجذب فى مذاهبه وتصاريفه ، وهو
مبعث القوة المبدعة ، وهو الذى يحقق أشكال الحكمة فى جلالها .

وفى المعشوق حياة فياضة تُخيل لمحبه أبدية وهى إلى وقت ،
ولا تزال كذلك تعمل فى خيال مُحبه بالسلب والإيجاب ، وهى السرُّ
فى بقاء الحبيب طريفاً جديداً ما بقى حبه ، كأنما يتحول فى كل يوم
ليُخلق ، فهو فى كل يوم صورة غير صورة أمس ، وهو دائماً معشوق
الساعة وقد خلّدت عليه النظرة الأولى ، وكل ما تكرر منه من ضحكة
أو كلمة ، أو نظرة ، أو ما إليها ، جاء لوقته كأن فيه حياة ، وكأنه مولود

لا مصنوع ، ولدته رغبتك ولم يصنعه هو ؛ فأنت تتلقاه كما يتلقى الأب
أو الأم أولاده وقطع كبده : لا يزال عليهم كل يوم طابع قلبه .

وما كان في الحبيب سلباً .. فهو الذى يفتن فى دلاله وامتناعه ،
وهو مبعث سحر الجاذبية ، وهو الذى يحقق من جماله الخيالى أشكالاً
تتلهم عليها الروح لهفة الظمان فى القفر على تموج السراب وصبغة
الرمال الجاف الملهب بلون الماء البارد الصافى .

يمنحك الحبيب ما تشتهى منه ، فإذا هو قد منحك الخيال ، ولدته
وسحره ، وإذا هو قد جعلك بالسلب كالمرآة لا تتلقى إلا لتعكس ، فأنت
للحب والشوق ؛ ولكنك أيضاً للتفسير والتعبير ، وتجسد فى قلبك من
أثر ذلك النقص تكامل الحياة ، ويصبح عندك فهم الجمال جزءاً من الخلق
والفكر ، كما هو فيك جزء من الحاسة والعاطفة ، فإذا نار قلبك تحرق
المعانى ، وإذا كل شئ ينفجر لك عن ضوء أو شعلة ، ويحقق لك الحب
(أن الله نور السماوات والأرض) .

إذا لم يكن ما نَعُدُّه بغيضاً شيئاً مفصلاً عن الكون ، فهو - ولا ريب
من ضروراته ، وهو بهذا من أجمل جماله فى معنى التكوين
والإبداع ، غير أننا لا ننظر منه إلى هذا المعنى ، ولا نعتبر صلته
بالوجود ؛ بل ننظر إليه بمعنى التكوين الذى فىنا ، ونعتبر صلته بنا ؛
فلا يكون من هذا إلا أنه قُبِحنا وسمح من بُحنا لا من قُبِحنا .

فالكون بما فيه من أثر الخالق هو اتساق واحد منسجم لا شذوذ فيه
ولا تنافر ولا قبح ولا بغض ؛ ولكننا نحن بما فىنا من قوة الخلق ؛ نتمرد
على الانسجام والاتساق ، إذ لا نملك من ضعفنا إلا خلق هذا التمرد ،
وتتطنع شهواتنا ورغباتنا إلى شئ ما .. فىكون جميلاً وحبیباً ،
وتنصرف عن شئ ما .. فىكون قبيحاً وبغيضاً .

ومن هذا فليس فى الكون إلا الحب والجمال والخير إذا سقطت الشهوات ، إذ كل شىء حينئذ يكون مقصوراً على حقيقته التى لم تفسدها بتغييرها ، ولأن قبح شىء من الأشياء ، إنما هو صورة انحرافنا عن إدراك حقيقته ، وجهلنا بناحية اندماجه فى قانون الاتساق الإلهى .

أفليس بذلك يكون المعشوق الجميل كأنه تهذيب علمى لروح من يهواه ، وتدريب له على الاندماج بفكره وعاطفته فى جمال الخليفة ؟

أليس بذلك يكون المعشوق الجميل هو الوسيلة التى يتعلم بها العاشق علم قلبه ، أى فن الارتفاع بالأشياء الجميلة على سذاجتها الفطرية ، وإكسابها فى روحه الإشراق الإلهى ؟

أليس بذلك يعمل العاشق فى جمال العالم ، ويكون الجزء الإلهى فيه هو الذى تحرك للحب لينكشف حبيبه بمعانيه السامية ، ويشهد جمال ذاته فى الصورة الجميلة التى يهواها ، حتى ليستطيع أن يقول لحبيبه : يا نفسى وبها روحى ! وهو يحس أنه على الحقيقة نفسه وروحه ، إذ يرى أنه متعلق به تعلق الطفل بروحه الكبيرة فى أمه وأبيه ؟

وهل غير الحب علم الإنسان كيف ينادى روحه ونفسه فى غيره ؟

٣ - العشق عند « مصطفى صادق الرافعي » ، (١٨٨٠ - ١٩٣٧ م) :

(حُبّ العاشقين)

حُبّ العاشقين كالثمرة . . ما أسرع ما تنبت ، وما أسرع ما تنضج ،
وما أسرع ما تُقَطَّف . . ولكنها تنسى الشفاه التي تذوقها ذلك التاريخ
الطويل من عمل الأرض والشمس والماء في الشجرة القائمة . . لا لذة
في الشجرة ؛ ولكنها هي الباقية ، وهي المتجة . . ولا بقاء للثمرة ؛
ولكنها - على ذلك - هي الحلوة ، وهي اللذيذة ، وهي المنفردة
باسمها .

وهكذا الرجل . . أغواه الشيطان في السماء بثمرة ، فنسى الله
حيناً ، ويغويه الحُب في الأرض بثمرة أخرى ، فينسى معها الأم
أحياناً .

(نصفُ الجنون في العاشق) !

* نصفُ الجنون في العاشق الذي يتجرد من الناس إلا من أحب ،
ونصفه في المعتوه الذي يتجرد من الزمن إلا الحاضر !

إنه ليس للمجنون عند نفسه ماضٍ ولا مستقبل ، إذ لا يأمل هذا ،
ولا يذكر ذاك ، وكل سعادة نفسه في هذا النسيان الذي طمس عليها ،
وتركها كأنما تعيش في غير عمرها . . بل في كل أعمار الإنسانية . . بل
بغير عُمر .

وكذلك ليس للعاشق مع الحبيب شخص آخر ممن مضى ، ومن
يأتى ، ما دام الحب قائماً ، فالحبيب هو الحبيب ، وكل الناس بعده
أدوات وشخص واحد ، هو الألف واللام والحاء والباء ، والناس جميعاً
نقطة صغيرة ملقاة تحت الباء فقط .

(حُب الفتى .. وحُب الرجل الهرم)

* يحب الفتى الناشء حباً طاهراً يستوجف قلبه (يذهب به) ،
فيقول أكثر الناس : أحب قبل زمن الحب .

ويعشق الرجل الهرم عشقاً فاسداً يستوقد ضلوعه ، فلا يرضى أن
يقول مرة واحدة ، ولا أن يقول عنه أحد إنه أحب بعد زمن الحب ؛ مع
أن الفتى رجل يُنى ، والهرم رجل يُهدم ؟

(الأجل .. والأكمل لدى العاشق)

* .. هل على الحب خيار ؟ .. أم هو الجمال الأزلى .. يستعلنُ
لكل إنسان بالوسيلة التى توافق مزاجه ، وتلائم تركيب نفسه على قدر
ما يلائمه ، وعلى أحسن ما يلائمه .. فيأتى الحب متخذاً من الشكل
المحبوب وسيلته .. فلا يكون أكمل ولا أجمل عند كل عاشق من
معشوقه .. إذ هو ليس إلا الصورة التى تتراءى فيها خصائص الجمال
العلوى للخصائص التى فى روح العاشق وطباعه ، فتتصل بها من الجهة
التي تنفذ منها إلى خالصة قلبه ، وداخلة روحه .

(وصال العشيق)

* من حياة الأطفال ، المنحصرة فى معانى أنفسهم ، ندرك سر الحب وسر السعادة . . فإن كل لذة الحب ، وإن أروع ما فى سحره ، أنه لا يدعنا نحيا فيما حولنا من العالم ؛ بل فى شخص جميل ليس فيه إلا معانى أنفسنا الجميلة وحدها . .

ومن ثمَّ يصلُّنا العشيق من جمال الحبيب بجمال الكون ، وينشئ لنا فى هذا العصر الإنسانى المحدود - ساعات إلهية خالدة . . تُشعر المحب أن فى نفسه القوة المألثة هذا الكون على سعته ، فتمر النفس - حيثُذ - فى سُبحات اللذة الروحية من الجميل ، إلى الجمال ، إلى الطبيعة ، إلى الله جل جلاله .

(كيف يكون الحب عشقاً ؟)

* لن يكون الحب عشقاً ، ما لم يرتفع بالنفس عن ذاتها ، ولا تسمو النفس عن ذاتها ، ما لم يعلَّ نظرها إلى الأشياء . . والنظر الإنسانى لا يعلو بشيء إلا إذا ألبسه معناه الإلهى !! .

(الحب والنفس العاشقة)

* لا يكون الشعور بالحب نارياً ما لم يكن الحب نفسه مزجاً للنفس العاشقة بالكهربائية السارية فى الكون ، المألثة لنواحيه وأطرافه النابضة بكل ما فيه .

* الوجه الذى نعشقه . . هو من كل ما خلق الله . . الوجه الموسيقى الذى لا ينسجم غيره ، ولا يتطابق مع فن عاشقه . . فإن أطرب ، أو أشجى ، فبلذة أشجى ، وبلذة أطرب .

(العشق : رقة .. ووحشية)

* العاشق الرقيق على فرط رفته ، هو لفرط رفته وحش فى عاطفة الحب .. ما منه فكر لو قُتس إلا قُتس عن معنى يفترس .. إذ يشعر بالحياة - فى نفسه - لا غذاء لها إلا بمعانى حبيته ، فيأكلها حتى بالنظر ، ويفترسها حتى بالخاطر ! .

(العشق : شقاء .. ولذة)

* فى الحب : درجة من درجات الملائكة .. يرتفع إليها من قَدَر أن ينسى من حبيبه المادة الإنسانية ، وهى مائلة عينيه وحواسه .. آه .. ما أشق أن يتحول العاشق - فى حبه - إلى شريعة .. ولكن ما ألد أن يتحول .

(الجمال المعشوق)

* يريد الجمال المعشوق أن يثبت فينا ، فيغيب عنا ، إذ كان بذله يُفنى منه على قدر ما يعطى .. فإذا هو امتنع وعزَّ مناله ، كان جمالاً فى نفسه بمعانيه ، وجمالاً فينا بالمعانى التى هى فينا ، وكان له من اجتماع الحالتين حالة جمال ثالث ، هى فى أَلَم الرغبة المستعرة ، أو أَلَم الغيظ المجنون .

ومتى خلق لنا الجمال من قصر الزمن طول الزمن ، ومن المتاع بالحسن العذاب بتمنيه ، ومن الحببية الراضية حببية هاجرة ، ومن الحاضر غائبة .. فقد ارتفع عن إنسانيتنا ، وجاءنا من ناحية سرِّه الإلهى .

(أنا عاشق)

* أنا عاشق أضمر الطبيعة فى مهجتى مصفرة ، فأنا الأكبر . . إن هذا لجنون ؛ ولكنه عقل .

وأنا عاشق أفسر الطبيعة فى حببتي الجميلة ، فى الأجمل . . إن هذا العقل ؛ ولكنه جنون ! .

(قلب المرأة العاشقة)

* فى الحب : يتكلم قلب المرأة العاشقة بمنطق فصيح من أعمالها . . فأعمالها عندها على طريق اللغة والتعبير ، قبل أن تكون لعلّة أخرى من العلل . . فإذا أنت حملتها على ظاهرها ، وكنت المقصود بها ، فقد جزت بها عن طريقها ، وأخطأت سحرها وجمالها . . بل تكون قد أهنتها ، وابتذلت المعنى السامى المخبوء لك فيها ، ليكون لك وحدك .

(عذاب العاشق بالرحمة)

* يا للرحمة من طيف يعذب العاشق بالرحمة . . إذ ينتقل الحبيب كله إلا الحبيب نفسه . . ويحقق للمحب أمانيه إلا بهذه الأمانى ، ويخيم على ظلمة الصّدّ بألوان من نهار يموت قبل النهار . . وفى عالم معذب من الهواجس والخيالات العاشقة المستلبة إرادتها ، ينصب عالمٌ نعيم من الهواجس والخيالات المعشوقة مستلب الإرادة أيضاً . . فكأنها سخرية النفس من جنون صاحبها . . يا للرحمة .

(العشق بين التأله .. والتولة)

* ما أقرب الحب من العبادة ، ما دام هذا الحب هو تجلّي نفس
فى نفس ، وما أشبهه بدين يعبد فيه الجسم الجسم . . فالمعشوق حالة
نفسية متألّهة معبودة ، والعاشق حالة أخرى متولّهة عابرة .

(عشق أعظم العلماء)

* لو عشق أعظم علماء الدنيا ، لأيقن أن حيرة عقله فى أسرار
الكون لها شكل أدق وأغمض مع أسرار الحب ، ولعرف أن فى أعماق
النفس الإنسانية مثل ما فى أعماق الوجود : مسائل لا حل لها . .
ألا يخرج من ذلك أن كل محب يقابل فى الطبيعة بقلبه - أو إحساسه -
أعظم العلماء بعقله وآلاته .

(العشق .. وصاحبه)

* حين يجد العشق بصاحبه ، يحبس عليه الزمن كله فى نقطة همّ
ثابتة لا تتحرك . . فتشتبه عليه الأيام حتى لا يشعر أنه يقضى يومين ،
أحدهما يختلف عن الآخر .

(الحب العاشق والجمال المعشوق)

* أصل الحب العاشق : اتساع الرغبات المنجذبة ، وخروجها عن
حدها . . وأصل الجمال المعشوق : اتساع الأسباب الجاذبة ، وخروجها
عن حدها . . كذلك فمن ثمة لا أناة فى الحب ، ولا عقل ولا استقرار ،
إذ هو اجتماع فوضيين ثائرتين على نفس ضعيفة .

(العاشق فى البداية .. والنهاية) !

* الطفل يرى فى أمه البداية والنهاية جميعاً ؛ لأن طفولته ستاريخه وبين ما وراءها ، وكذلك العاشق : يرى فى حبيبته بداية ونهاية معاً ، لأن حبه ستاريخه وبين ما عداه ، يحصره بين أول وآخر فى امرأة واحدة ؛ أفلا يكفى هذا دليلاً على بلاهة العشاق وغرارتهم ، وأن الحب كالانتكاس إلى الطفولة فى جبهة واحدة من جهات النفس ؟

وترى الصغير إذا فارقت أمه نظر فيما حوله ليستشف ما انفصل من آثارها المحبوبة على كل الأشياء التى فيها حنينٌ نفسه ، وكذلك يفعل المحب فى كل ما مسته حبيبته ، حتى كل شىء عليه لمحة منها ، حتى ليرى بعض الأشياء يكاد يتسم له ، وبعضها يرنو إليه ، وبعضها يكاد يتيه ويتدلل ويصد .

وحول الحبيبة ، تنفق لعاشقها كل عناصر الحياة المتناقضة ، إذا شاءت ، هى ، ومنها هى أيضاً تختلف هذه العناصر عليه إذا شاءت ، كأنها (أى الحبيبة) حياة حياته ، لا مقصرة له عنها ، وكذلك أمر الطفل من أمه ووهمه فيها .

(حال العشاق)^(١)

دنوتُ من مواطن العشق والعشاق إذا فيهم المُقعد ، والزَّمن ،
والضَّرير ، والمجذوم ، والأجذم ، والأبرص ، والدميم ، والمشوه ، والهَرِم ،
والموهون ، وقانص اللذات ، وطالب الدنيا ، والمبذّر ، والشحيح ،
والجبلن ، والنذل والدّجال ، واللص ، والأحمق ، والغر ، والغبي ،
والجاهل ، وكل وغد لئيم أبعد الناس من ذوى الإحسان والحسن ، وجمال
المنظر ، والمخبر .

فلما وجدت كل هؤلاء ينزلون ساحة الحب ، مرَّ بخاطري أنه قد
يجوز لى أن أحل ذلك الجنب ، وألج ذياك الباب ، مختفياً فى غمار
تلك الجموع المزدحمة ، والوفود المحتشدة .

ثم صممت ، فمضيت . . وما بلغت الباب حتى رفضت ورددت ،
حيثُ علمت أن رفضى ورجعى ليس لأنى دون القوم بل لأنى فوقهم .

ولا أنكر أنى أسفت (وإن كان أسفى هذا جديراً أن يعد عاراً
وسوءاً) لحرمانى ورفضى عندما رأيت أن أسفل النوع ، وأخس الناس ،
والغوغاء ، والبغاث ، والحشالة ، والنفاية . . كانوا يتفوقون علىَّ
ويلجؤون باب ساحة الحب دونى ! .

عند ذلك خيّل إليَّ أنى جنس وحدى ، وأنى « دولة » بذاتى ،
مخالف لهذا العالم السافل .

وصرتُ أفخر بالذى لقيت منه الإهانة ، وأحس اللذة فى الألم ،
وأذوق الشهد فى العلقم ، وعلمت أن لى مجالاً آخر ، وأن حظى
ومغنى فى غير تلك السبيل .

(١) محمد بن محمد بن عبد الوهاب السباعى (١٢٩٨ - ١٣٥٠ هـ / ١٨٨١ - ١٩٣١ م) .

ومصداق ذلك أن خير ما كتبتُ ، وأجود ما ألفتُ ، والشئ الذى
أنا به جدير أن أزهى به وأفخر .. هو مما لا تقرؤه آنسة ، ولن تستطيع
فهمه امرأة .

ولماذا يسوئنى أن أروح صفر اليد من النساء ، وليس عندى
مصابيدهن ، ومالى أزرع الشوك وأنتظر العنب ، وأبذر القتاد وأرجو
العناب .

لقد محت الفلسفة من ذهنى الحب ، وأباد الفكر الهوى ، وجبهتى
المكفهرة هذه المقبلة على الحكمة والحق . إنما هى الصخرة الصماء التى
تسحط عليها سفينة الغرام فى ملتطم أمواج الفكر ، وطامى عباب الرأى
والذكرى .

ومع ذلك فإننى لأسف على حرمانى ملاذ الهوى ، ومطايب تلکم
المواقف !

وتذهب نفسى حسرات وأنفاسى زفرات ، قدَهْرِى مَأْتَم ، وعُمْرى
مناحة ، وقلبى فريسة ، وجفنى لطول النهطال غمامة ، وقلبى لترجيع
البكاء حمامة ، نهارى من أسوداد الحداد دُجَى ، وليلى من اضطرام
اللوعة ضُحَى .

وكذلك قضيت أربعين من عمرى أتلهف على نعيم (العشق)
ولا أعطاه ، وأشتاق طيب وصال ولا أملاه ، وأتمنى وجه حبيب ولا أراه .

ولكن مالى أشكو هذه الأربعين وأتهمها بالخلو من نعمة الجمال
والحب إذا كان هذا الوجه الحسن الجميل الذى يطالع خيالى على بعد ،
صاحبه يعكس أضواءه على ظلمة تلك الأربعين ، حتى يرى وجهه
ماضى ، وهو من الفرح الجديد ، والحزن القديم مبتسماً فى دموعه :

ثغور ابتسام فى ثغور مدامع شيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

إنى من ذكرى « ليلى » فى لذة لا توصف ، وطرب لا يكيف ،
وكأنما يخفق حوالى نور أرجوانى ، وضياء وردى ، وكأنما يهب
فى الحجرة صبا الغرام ، ونسيم الحب .

وكأنما إذا نظرت إلى صورة الحبيبة المائلة أمامى على الحائط ،
توامضت على الرقعة أشعة ذهبية كعهدى بها يوم تسلمتها من المصور .

، وكأنما تنبت فى ثرى نفسى أزهار الأمل والسرور ، كعهدى بها أول
ما نبتت ، فأذكر العصور الأوك وتكرّ الأويقات السالفة راجعة ، وتزدحم
على دارى السنون الخالية وتقرع الباب ثم تدخل على ، وكأنى لا أزال
فى شرح الشباب وميعة الصبا ، وكأن الروض قد عاود زخرفه ، وأخذت
الأرض زيتها ، وعاد فى السماء قُرح ، وكأنى أبصر بالعين أذيال أثواب
السنين الماضية ، وكأنى ألمس باليد حواشى أبراد الأزمن الخالية ، ولم
يذهب سُدَى ولا مضى عبثاً كل ما أحسه قلبى وأجراه خاطرى .

وقد أقف الآن على قبر الحب ، فأنظم فى ذكرى الغرام نشيداً ،
وأنضد فى تجديد عهد الهوى قصيداً .

وبأيتها الغانية إن كان ما أبديته لى من شواهد الحب خداعاً ..
فاخذعنى به ما حييت ، ومنينى ما عشت أضاليل الأمانى :

عللينى بموعـد وأمطلى ما حييت به

دعيني أعش فى ظل وصل السجسج ، وأكتحل بسناجين
الوضاح ، ويروق ثغرك اللماح .

واقطينى باللثامات ، وأحيينى بالبسمات ، واسحرينى بالنظرات .

ولكن .. لا يزال هواك عابثاً بقلبى ، لاعباً بلبى ، هازلأ بحالى ، ساخرأ
من آمالى .

فاخذيعه فى الهوى ، خير من الفطنة فى النهى .

١ - العشق .. كما يراه العقاد : (١)

(العشق : نزوة)

لا أرى العشق إلا نزوة من نزوات الشهوة البهيمية يخصصها
فى الإنسان بامرأة - دون سواها - تفاوت الملامح فى إنائه ، وتعمُّ
فى البهائم لأن تماثل أنائها فى الخلقة لا يدع ما يحتم الانجذاب إلى أنثى
يعنيها من بقية الإناث .

والحب الشريف ، والحب الخسيس ، معدنهما واحد ، وغرضهما
واحد ، وطبيعتهما واحدة .

والذين يتوهمون أنهم إنما يعشقون لمحض التفرج على الجمال
الصورى يخدعون أنفسهم ، فإن من التماثيل المنحوتة ما هو أجمل صورة
من أجمل امرأة فى العالم ، ومع هذا فنحن لا نشغف به ، ولا نتدل
فى حبه .

وغاية الفرق بين الحين : الشريف الخسيس .. أن الأول : حب العقلاء
الذين يسوءهم تضحية أحبائهم لشهواتهم .. وأن الثانى : حب الحمقى
الذين لا يفكرون فى غير قضاء الشهوة .

وهو - أى العشق - أحد الشهوات ؛ لأنه الشهوة الوحيدة التى
لا تتم إلا بتراضى شخصين ، يحتاج كل منهما إلى الشمائل ،
والأوصاف التى يصبو إليها الآخر ، ليقترب كل منهما إلى صاحبه من
بين ألوف الرجال والنساء .

(١) عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤ م) .

فاغنية في العشق - اليأس من الذات التي لم يستحوذ على إعجابنا
سواها من كل هذا الملاء ، والتي لا يهمننا من كل هذا الملاء أن يعجب بنا
سواها - هذه الخيبة ، أو هذا اليأس ليس معناه فقط عدم التمكن من
قضاء شهوة ؛ بل معناه أيضاً . . أن العاشق ناقص فيما يسترعى إليه قلب
المعشوق الوحيد الذي لا يبالي إن كان كاملاً من هذه الوجهة في نظر
غيره ، أي ناقص فيما هو به رجل يستحق إعجاب المرأة التي وقع عليها
اختيار من النساء ، أو فيما هي به امرأة تستحق إعجاب الرجل الذي وقع
عليه اختيارها من الرجال .

وبغض النظر في جميع ذلك عن فوارق الدرجة والمقام .. فإن هذه
مميزات تميز رجلاً على رجل ، أو امرأة على امرأة .. ولكنها لا تميز ذكراً
على ذكر ، أو أنثى على أنثى .

٢ - العشق .. كما يراه العقاد :

(العشق .. والإرادة)

تعطيل الإرادة أصيل فى الهوى كله ، ولا سيما الهوى الذى نسميه بالعشق ، أو نسميه بالغرام .

• لأن المرء يرتبط فيه بإرادة شخص آخر ، فهو مقيد بهذا الارتباط الذى لا تتفق فيه الإرادتان فى جميع الأحيان .

ثم يتقيد الشخصان معاً بإرادة النوع كله ، أو بالإرادة القاهرة التى تتمثل فى الغريزة النوعية ، وتتغلب - كثيراً - على إرادة العاشقين ، وإن اتفقا على حالة من الحالات .

ثم يتقيدان بالعرف الذى يفرضه المجتمع ، وتفرضه الآداب والأخلاق فوق ما تفرضه الطبيعة من طريق الغريزة النوعية .

ثم يتقيدان بظروف المعيشة وأحوال الدنيا التى تتاح على وفق الهوى .. أو لا تتاح .

فإذا تميز العشق بين سائر العلاقات الإنسانية ، بخاصة من الخواص الظاهرة .. فأكبر ما يتميز به هذا التقييد الشديد لإرادة العاشق من جملة نواحيه .

وقد يبلغ به هذا التقييد لإرادته .. أن يحول بينه وبين فهم إرادته .. فلا يعلم ماذا يريد .. فضلاً عن أن يعلمه ، ويعجز عنه .

فإذا به قد انقسم على نفسه ، كما ينقسم المعسكر الواحد إلى ضدين متحارين ، ولا غنيمة لأحد منهما فى الانتصار ، إذ هو انتصار لا يخلو - فى الحالتين - من خسارة ..

ويتهى به الأمر إلى البقاء على حاله عاجزاً عن تغييره ، لا سروراً به ، ولا رغبة فيه .

فهو لا يتعلق بمعشوقه لأنه راضٍ عن هذه العلاقة .. يتلذذها ، ويشتهيها ، ويتذوق النعمة والهناء فيها .

ولكنه يتعلق بمعشوقه لأنه عاجز عن فراقه .. مقيد بضروب من العادات ، والوساوس ، لا حيلة له فيها ، ولا قوة له عليها .

ومثله فى ذلك . . مثل المدمن الذى يتعاطى السموم ، ولا يجهل بلواها . . ولكنه يقلع عنها ، فلا يقر له قرار . . فيمضى فيها وهو كاره لها ، يبحث ما استطاع عن سبيل الحياة .

جذور العشق

* العشق : أصيل فى طبيعة الإنسان ، إذا نحن رددناه إلى الغريزة النوعية . . بل هو أصيل فى طبائع بعض الأحياء من الطير والوحش ، كما ظهر من تلازم بعض الأزواج ، واقتصار بعض الذكور على بعض الإناث ، بغير تبديل إلى أمدٍ طويل .

(العشق .. وشعر الغزل)

من الأوهام التى شاعت بين قراء الشعر عندنا وبعض قرائه فى الأمم الأخرى ، أن الرقة هى الصفة الأولى للشعر كله ، أو هى ميزته على النثر والكتابة ، والمباحث العقلية البحتة .

وأن شعر الغزل على الخصوص ينبغى أن يكون مفرطاً فى رفته بعيداً عن الخشونة ، وعن كل ما يذكر السامع بالعنف والقوة ، فلا يحسب من شعراء الغزل المجيدين إلا من كان ظريف النسيب ، خافت الصوت والوجيب ، مكثراً من الشكاية والنحيب .

فإن بدرت منه كلمة جامحة ، وأفلتت من وقدة صدره نفثة لافحة ، فليس ذلك بغزل ، وليس الشاعر بمطبوع على العشق ، ولا بمدرّب على « العواطف » ، ولكنه دخيل فى هذه الصناعة متكلف لها .

إن هذا الوهم لا يقف ضرره عند حد الخطأ فى فهم الشعر ، أو فى الحكم على مقاييس الأدب والفنون عامة ، ولا يدل على فساد ذوق ونقص فى ملكة التمييز بين صنوف الجمال فحسب ؛ ولكنه يدل قبل ذلك على مرض فى المزاج وضعف فى الأخلاق ، وسخف فى مدارك الفكر .

وإذا دل على هذه الخلال ، فقد دل على ما يلازمها من سقوط الهمم ، وخبث الطباع ، وأعراض التأخر ، والفتور فى الأمم ؛ لأن النفس التى تحس الحياة حق الإحساس ، وتجارى الطبيعة فى قوانينها ومقاصدها لا يمكن أن تجهل « العشق » هذا الجهل ، ولا تخطئ فى وصف التعبير عنه إلى هذا الحد ، ولا حظ فى الحياة لمن انقطعت بينه وبينها صلة الشعور الصحيح المستقيم .

ونعتقد أنه ليس أعون لنا على فهم طبيعة « العشق » الصادق من الالتفات إلى نقطة واحدة ، وهى علة استئثار الرجل بالغزل دون المرأة .

فلماذا انفرد الرجال بالغزل ، ولم تنفرد به النساء إن كان مصدره الرقة ، واللين ، والنعومة ، وكان براء من العنف والقسوة والخشونة ؟

ولماذا يباح للرجل أن يطلب المرأة ويحمد منه الإلحاح فى طلبها ، ولا يباح لها أن تطلبه .. ولا يحمد منها أن تستجيب لأول دعوة منه ؟

إن الرجل لا يستأثر بذلك عبثاً ؛ ولأنه أقوى عاطفة ، وأقدر على التغلب برغبته من المرأة ، ولهذا السبب استأثر فى أول الأمر بالزينة والحلى^(١) ، ثم شاركته المرأة فيها ، فانفرد دونها بالكشوط والندوب لأنها شارة الأيد والبسالة ، ولهذا أيضاً استأثر بالنداء على المرأة ، واستدعائها إليه بالغناء الصوتى أو الغناء المقسم بالحروف ، وهما أصل الغزل فى الأحياء جميعاً .

ولست أرى أن المرأة كانت تطرب حينئذ للأصوات من حيث هى جميلة وأجمل ؛ ولكنها كانت تسمع أكثر الأصوات تنوع نبرات ، وتفاوت مقامات ، فتجدها أكثرها انفعالاً ، وحرارة ، وأدلها على القوة والرجولة ، فتتهيج فيها العاطفة العاطفة ، وتبعث الرغبة الرغبة .

وتنقاد للرجل الذى استطاع أن يزعج فيها رغبة « العشق » انقياد المجبر ، لا انقياد المنصت المميز بين توقيع حسن ، وتوقيع أحسن منه ؛ ولهذا كان الرجل هو البادى بالصياح ، إذ كان هو الأقوى صدراً ، والأشد من ثم تأثيراً ، فإذا امتلأ صدره بالهواء الحار ، أزجى به صوتاً

(١) قال لورد افيرى فى كتابه نشأة المدنية : « للهمج شغف عظيم بالزينة ، وإنه ليندر بين قبائل من أوضاع البشر من يتزين من النساء لأن الرجال يخصصون بالزينة أنفسهم .

يردده الانفعال بين الارتفاع والهبوط ، والاستقامة والاهتزاز على الرغم من صاحبه ، فيكون الغناء فى أبسط حالاته ، ويغلظ لأجل ذلك صوت الرجل بعد البلوغ ، ولا يكاد صوت المرأة يتغير .

وقد تلمس (دارون)^(١) علة الطرب من ناحية الرقة والرخامة ، ففسر عليه الوصول إلى مصدرها وقال فى كتاب أصل الإنسان :

« لو سأل سائل ما يقال عن بعض الألحان والأوزان التى يرتاح إليها الإنسان ، وأنواع من الحيوان . لما كان فى وسعنا أن نجيب عن ذلك إلا بجواب السؤال عن سبب ارتياحها إلى بعض المذوقات والمشغومات . »

وليس الأمر كذلك ؛ لأننا إذا تلمسنا علة الطرب أولاً من جهة التأثير بقوة الصوت . وجدنا الجواب على ذلك السؤال سهلاً قريباً ، وأمكنا أن نجيب من يسألنا :

لماذا يؤثر أعمق الأصوات ارتجافاً وتعويداً ، وأكثرها تنوعاً وتجويداً ؟ فنقول له : لأنها ترجمان العاطفة الشديدة ، والعاطفة من شأنها أن تبعث العاطفة .

ولا يزال الغناء كذلك حتى يتعلم الناس الكلام ، وينعقد الصوت ألفاظاً وحروفاً ، فيتدفق الغزل من النفس المحتدمة تدفقاً قوياً عارماً .

ويكون أجهر الرجال رغبة أميهم لرغبة المرأة ، وأبلغهم إلى نفسها كلاماً ، وأغلبهم على طبعها سلطاناً .

ويكون الشاعر الأول فى عصور الفطرة هو أعنف الرجال « عشقاً » ، وأضراهم هيأماً ! .

(١) دارون ، تشارلس روبرت (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) عالم طبيعى إنجليزى .

« فالعشق ، فى طبيعته الأولى بعيد عن الرفق والسلاسة .. وإنما هو شواظ لاذع يلتف دخانه بناره ، ويتلهب شوقاً إلى وقوده ، فإن أصابه خمد وعاد الشاعر يترنم بهناءة نفسه ، ويغتبط بالراحة من سورة طبعة ، وإن لم يصب وقوداً .. كان نقمة لا تطاق .

وأى رقة فى قول المجنون :

كان فؤادى فى مخالب طائر إذا ذكرت « ليلى » يشد به قبضا
كان فجاج الأرض حلقة خام على فما تزداد طولاً ولا عرضاً

إن قلب السامع لينقبض ، وإن صدره ليخرج لهذا الوصف .
ومع هذا .. أى شعر أبرع من هذا الشعر ، وأى شاعر أطبع
و « أعشق » من المجنون ؟

وليس « العشق » الصادق ، حيث يشب أواره ، وتتأزم حلقاته ،
بالعاطفة التى يود صاحبها دوامها ، ويستريح إلى مناجاتها ، كلا ، وإنما
هو غمة مطبقة يود المبتلى بها لو تنقضى لساعتها ، ويقوم فى نفسه عراك
لا تهدأ ثائرته ولا يهنأ بالغلبة فيه ؛ لأنه هو الغالب وهو المغلوب ، وكأنما
يتزع نفسه من نفسه فيضيق ذرعاً ، ويغوث من كرب هذا النزاع ، نزاع
الحيرة التى يقول فيها المجنون :

فوالله ما فى القرب لى منك راحة ولا البعد يسلىنى ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيلة وأى مرام أو خطر أخطر

وكان كاتيلوس^(١) الشاعر الرومانى يدعو الآلهة قائلاً :

« أيتها الآلهة .. إن كانت لك رحمة بالقلوب الصديعة المشفية ،
فبحق براءتى عليك إلا ما نظرت إلى عذابى ، ورثيت لما بى ، ومسحت

(١) « جايس فاليروس كاتيلوس » : شاعر لاتينى ولد فى فيرونا سنة ٨٤ قبل الميلاد ومات
سنة ٥٤ وهو من أكبر شعراء « العشق » فى اللغة اللاتينية ، ومن أمثال « قيس »
و « جميل » و « كثير » عندنا .

عنى هذا الوباء الماحق ، والبلاء اللاحق ، وهذه اللوعة التى تسربت رعدتها
فى عروقى ، فنفسى الهناء عن قلبى ،

وهى رعدة « عروة بن حزام »^(١) التى يقول فيها :

وانى لتعرونى لذكراك رعدة لها بين جلدى والعظام ديب

ووهلة المجنون التى يصفها بقوله :

دعاً باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

فإن طاوعته نفسه فى نزاعه ذاك ، وإلا حنق عليها ، وذهب به الحب
إلى كره ذلك المخلوق المسلط عليه ، الذى حرمة نعمة الطمأنينة ، وجلب
عليه هذا الشر ، وفرق بينه وبين نفسه ، فيحب ويكره فى آن ، وربما تمنى
لحييه الموت لعل اليأس منه أن يشفيه كما قال « جناده »^(٢) العذرى :

من حبها أتمنى أن يلاقينى	من نحو بلدتها ناع فينعماها
كيما أقول فراق لا لقاء له	وتضمر النفس بأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت ألا	يابؤس للموت ليت الموت أبقاها

وكان « كاتيسولس » يقول : « إنى لأكره وأحب ، تسألنى كيف
ذلك ؟ من يدرى ؛ ولكنى أحس بحقيقة هذا الأمر وشدة برحائه » .

وكذلك كان يقول المجنون :

فيارب إذ صيرت ليلى هى المنى	فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فبقضها إلى أهلها	فلانى بليلى قد لقيت الدواها

وليس فى نعت الحب بالداهية شىء من الرقة والدمائة ؛ ولكنها
حقيقة اتفق عليها شاعران ليس بينهما جامعة من ذوق لغة ؛ أو مشرب

(١) عروة بن حزام (نحو ٣٠هـ) ..

(٢) « جناده » بن أمية بن مالك الأزدي الزهراني (٨٠هـ) .

قوم أو وحدة زمن ؛ ولكنهما اجتماعاً على عاطفة إنسانية صادقة - بل
اتفق عليها كل شاعر عالج من « العشق » ما عالجَه هذان الشاعران .

وأحياناً يثوب « العاشق » إلى نفسه ، فيبدو له كأنه مختار في شغفه
وسلوته ، وكأن الأمر لا يعنى غيره ، فإن شاء سدر^(١) فى الحب ، وإن
شاء صدف^(٢) ، وإن شاء مضى مع قلبه ، وإن شاء وقف ، فلا ينشب أن
يستيقن عجزه ، وقلة حيلته ، وأن الأمر فوق يده ووراء مشيئته ، وهذا
الذى يصفه « جميل »^(٣) إذ يقول :

يقولون مسحور يُجنّ بذكرها فأقسم ما بى من جنون ولا سحر

وما الجنون والسحر إلا ما به ، وإلا فهل « للعشق » وصف أصدق
من أنه مزيج من جنون وسحر ؟ هل هو إلا جنون يصقل العقل ، ويهزأ
بالحذر ، ويطير مع الأهواء ، فإن ثقلت عليه النهى أزاحها عن عاتقه
ومضى لطيته ؟

ألا يعرف « العاشق » ما يوبقه ؛ ولكنه لا يحيد عنه ، ويصر ما يشفيه ،
وهو يأبى أن يذوقه ؟

وهل « العشق » المبرح إلا أن يغطى على السمع والبصر ، وأن تنفث
النفثة التى لا ينجح فيها طب وطبيب ولا نشرة عراف ، فإذا بالفريسة
المغلولة مأخوذة بين يديه كما يؤخذ المسحور إلى حيث أراد الساحر ، وكما
يثب الوسنان من وساده على غير هدى ، وهو المفيق الخادر والنائم الساهر ؟
ولا داعى للعجب من وجود عاطفة فى نفس الإنسان تأسره هذا
الأسر المؤلم الشديد ، ولا من وقوع الإنسان فى أسر هذه العاطفة
باختياره وأسفه عليها بعد زوال صرعتها ؟

(١) سدر : أى : تحير .

(٢) أعرض .

(٣) جميل بثينة ، أبو عمر جميل بن معمر العذرى (٨٢٢ هـ) .

وانفشاء لوعتها ، ولا من حنينه إلى ما يعانيه من عشقها كما يقول
« البحتري » (١) :

ووددت أنى ما قضيت لبانة منكم ولا أنى شفيت غليلي
وأعد برئى من هواك رزيمة والبرء أكبر غاية المكبول

نقول لا داعى للعجب من ذلك ؛ لأن الغرض من « العشق » غير
مقصود على لذة الفرد ومصلحته ؛ ولكنه غريزة يُراد بها بقاء النوع كله ،
واتصال حبل الحياة جيلاً بعد جيل ، فلا عجب إذا صغرت حيلة الإنسان
وعيت مداركه عن مناصبة هواه فيه ؛ لأن المدارك مدارك فرد واحد ،
والهوى هوى نوع بأسره .

ومن محاسن « جميل » وإخوانه من الشعراء الغزليين : أمانتهم فى
الإعراب عن النفسى والبث بالعاطفة . أنظر إلى قوله :

أرى كل معشوقين غيرى وغيرها يلدان فى الدنيا ويغتبطان
وأمشى وتمشى فى البلاد كأننا أسيران للأعداء مرتهانان

فهكذا ظن « جميل » ، وهكذا يظن كل عاشق يسمع بلذة « العشق »
ولا يرى أين هى ، فيحسب أنه هو الشقى وحده ، وأن « العشاق » كلهم
سعداء .

والحقيقة أن « العشق » لا يخلو من الشقاء أبداً ، ولو خلا منه لكان
أشبه باللهو الذى يتشاغل به البطالون والمُجَّان كعشق « عمر ابن أبى
ربيعه » (٢) ، و « العباس بن الأحنف » (٣) ، وأضرابهما من المُنَّشِين « عشق »
أملس ، وقشعريرة ناعمة حلوة .

(١) البحتري ، أبو عبادة (٨٢٠ - ٨٩٧ م) .

(٢) عمر بن أبى ربيعة (٦٤٤ - ٧١١ م) .

(٣) العباس بن الأحنف ، أبو الفضل (ت ٨٠٧) .

فأما ما يبلغ منه الصميم ، ويخترق الشغاف ، وتتقاتل فيه الأهواء ،
ويشتهب من النفس أخفى خفاياها ، وأعمق دفائنها ، فبعيد أن يكون
لذيذاً بالمعنى المعروف من اللذة .

وما هو إلا أن تخبو في النفس تلك الشعلة ، وتترك فيها رمادها
حتى يشعر « العاشق » ببرد الفراغ ، ويذوق لذة الاحتراق بعد شفاء
الكي ، واندمال القرحة ، ويعلم حيثئذ أن السعادة التي سمع بها هي
تلك القوة التي كانت تصطرع للظهور ، وتتأجج للسطوع ، وأن الإنسان
يسعد بقدر ما تأخذ نزعاته وعواطفه من مجراها ، وتنطلق في
مداها ، ولو كان في ذلك هلاكه . . . وأنه خير له أن تكون هي قبره من أن
يكون هو قبرها ، فيطرح نفسه مرة أخرى بين جناحي « العشق » الذي
كان يجاذب ما يجاذب للإفلات من أوهامه ، ويود لو أُتيح له أن يستعيد
تلك الغرارة التي استقبل بها « العشق » للمرة الأولى .

وهذا لون من الجنون ؛ ولكنه جنون ليس لإنسان أن يفخر بسلامته
منه ، أو تغلبه عليه ؛ لأن التغلب عليه قد يدل على ضعف الطبع لا على
قوة العقل ، ولا يصعب على أضعف الناس عقلاً أن يكبح هذه العاطفة
إذا كان طبعه أضعف من عقله .

وليس مرادنا بأن « العشق » غريزة نوعية .. إنه محصور في معنى معين ،
ومحبوس في شعور واحد ، إذ لا يخفى أن الغرائز النوعية متداخلة متوشجة ،
و « العشق » منها ، علي وجه التخصيص ، يدخل في كل ما ليس بأناني
صرف من الطباع والأخلاق .

ولذا . . سادت الأنانية على الطفولة والشيخوخة لأنهما خاليتان
منه ، وكانت الشبية وهي سن « العشق » سن الغيرية والإيثار والمفاداة .

فليس تأثير « العشق » مما يقف عند الغرض الأول منه ، ولا هو بمقصود على العلاقة النسلية بين الرجل والمرأة ؛ ولكنه يمتد إلى كل غريزة . . سواء أكان لها ارتباط بالشوق الجنسي ، أم لم يكن .

وربما ملك النفس وتمكن منها ، ولم يبلغ من تأثيره النوعى عليها إلا أن يذكى فيها الغرائز الغيرية التى تقوم عليها علاقات المجتمع ، وأن ينمى الأذواق النوعية الأخرى التى تترجم عنها الفنون الجميلة من شعر ، وتصوير ، وغناء .

ولذا كان أهل هذه الفنون ممن لا يستغنون عن « العشق » ؛ لأن موت عاطفته فى نفوسهم يميت أذواقهم الفنية .

وقد كان الفرسان - فى القرون الوسطى - لا ينون بين حب وحرب ، يورى فيهم الحب نار الشجاعة ، وتشعل الشجاعة فيهم قبس الحب ، ويستحون أن يكون أحدهم محباً ، ثم لا يكون بطلاً مغواراً ينضح عن ملته ومليكه ، لما بين الحب وحماية القبيلة ، أو الأمة من العلاقة الخفية .

وكان العرب لا يشهدون قتالاً ، أو يممون بلداً إلا ذكروا ذلك لصواحبهم فى شعرهم ، واستلهموا به قصائدهم وافتخروا به فى غزلهم ونسيبهم ، كأنما هم لم يقاتلوا ، ولم يرحلوا إلا لأجلهن ، وابتغاء مرضاتهن .

وما جعل للحب هذا السبق على العواطف الفرعية ، ولا صيره حافزاً لها يثيرها كلما ثار .. إلا كونه أصلها طرا ، فهو بلا شك أول غريزة دعت إنساناً إلى إنسان غيره .

هذه هى العاطفة التى ردها أرقاء الرقة إلى ذلك الغزل المردول الذى نقرأه للمتأخرين من شعراء الأندلس والعباسيين ! .

(الزواج .. بعد العشق)(*)

* يقول « د . زكى مبارك » (١٨٩١ - ١٩٥٢ م) :

- فى أحوال كثيرة ينتهى الزواج بعد « العشق » إلى الانفصال ثم إلى العداة ، بحيث لا يحب أحد الزوجين المنفصلين أن يسمع خبراً عن صاحبه فى أى معرض من معارض الحديث .

فما تعليل هذه الظاهرة وهى من الغرابة بمكان ؟

كان المنتظر أن يكون الزواج المنبعث عن « العشق » أقوى وأمتن وأبقى من سائر أنواع الزواج ؛ ولكن النتيجة تخالف ما انتظرناه ، وتشهد بأن « العشق » يكون أحياناً من أسباب الطلاق .. فما تعليل هذه الظاهرة ، وقد قلت إنها من الغرابة بمكان ؟

يجب أولاً أن نعرف موجبات « العشق » ، لنرى كيف يمكن أن يصبح من منفصات الزواج ، فى أكثر الأحيان ، فما تلك الموجبات ؟

يخطئ من يقول : إن « العشق » اتصال روح بروح ، بغض النظر عما يساور حياة عاشقين من الاختلاف الطارىء ، وهو الاختلاف الذى تخلقه ظروف المعاش ، وهى ظروف تتجدد فى كل يوم بأشكال وألوان .

أساس « العشق » أن يكون المعشوق صورة مثالية ، صورة يراها العاشق نهاية النهايات فى الجمال والجلال ، صورة منزهة عن كل ما بغض من نضارة الجسم وحلاوة الروح .

(*) العدد ٥٣٩ من مجلة الرسالة أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ .

ونحن نعرف أن العاشق لا يرى معشوقته ، ولا تراه إلا بعد تأهب وتهيؤ واستعداد ، فيكون كل لقاء شبيهاً باللقاء المنشود في ليلة العرس ، وتكون الأنفاس في حرارة محرقة لا يخمدها التلاقى ، وتلاقى العشاق أقصر من طيف الخيال .

وهذا البناء ينهدم حين يصبح العاشقان زوجين ، ينهدم بسرعة ؛ لأن المرأة لا تتجمل للزوج كما تتجمل للعاشق ؛ ولأن الرجل لا يغازل الزوجة كما يغازل المعشوقة ، وبهذا يضيع ما كان ينتظر الزوجان من سعادة الحياة : حياة العشق الذى لا يكدره فضول الرقيب ، وهما لا يدريان أنهما بعد الزواج ينوبان عن الرقيب فى التجسس والسخافة والفضول ؟

العاشق لا يغفر أبداً ، والمعشوقة لا تغفر أبداً ، فأيسر انحراف من أحد الزوجين العاشقين يخلق متاعب لا تُداوى بغير الفراق .

أىكون معنى هذا الكلام أن نُنهى عن الزواج بعد العشق ؟

لا ، فإننا نرجو أن يكون « العشق » من وسائل الزواج وإنما ندعو إلى الفهم الصحيح لحياة الزوجية ، وهى تختلف عن حياة « العشق » بعض الاختلاف ، أو كل الاختلاف .

إذا تزوج العاشقان .. فقد وجب أن ينتهيا عن دلال الحياة الغرامية ، وأن يعرفا أنهما مُقبلان على تكاليف ثقال يوجبها نظام البيت ونظام العاش .

الزوج الذى يسابح زوجته ويماسيها ، لا يطالب بما يطالب به العاشق الذى يلقي معشوقته من أسبوع إلى أسبوع .

الزوجة فى الأصل سكن للزوج ، ومزية السكن أنه مأوى صاحبه فى أوقات الفرح والترح ، ولحظات التفتح والذبول ، فمن واجب الزوجة أن تفهم أن الزوج لا يصلح فى كل وقت للمطارحات الوجدانية ، ولا يستطيع أن يتسم فى جميع الأحوال .

إذا فهمت الزوجة المعشوقة هذه الحقيقة . أمكنها أن تستريح من متاعب كثيرة ، متاعب تخلقها الغيرة السخيفة ، فقد ثبت أن الزوجة لا ترد سكوت الزوج عن الملاحظة إلى أسباب من اشتغاله بمتاعب الحياة ، وإنما تردّها إلى أسباب من اشتغاله بغيرها من النساء ، والمرأة لا تدرك أن للرجال متاعب غير الاشتغال بالنساء .

وأنا لا أبتدع هذا الرأى ، فقد التفت إليه أقطاب القصص الفرنسى ، وعندهم عبرة يضيفونها إلى الزوجة عند معاتبة الزوج فى أتفه الشئون ، وهى عبارة : « لم تعد تحبنى » !

وهى عبارة تعاد بحروفها فى أكثر الأقاصيص ، بحيث جنى عليها التكرار ، فلم تعد تثير الإحساس ، برغم ما يصحبها من التوجع والأنين !

والظاهر أن المرأة تخلفت عن مركب الحياة ، فهى لا تزال تنظر إلى النعيم بالعين الحيوانية ، ولم تدرك أن النعيم صارت له ألوان من التطلع والتوئب والتسامى إلى مراتب لا تخطر للحيوان على بال .

والحق أن الرقى العقلى والروحى والأدبى والمدنى ، الرقى الذى نقل الإنسانية من حال إلى أحوال بصورة تفوق أحلام القدماء بمراحل طوال هذا الرقى من صنع الرجل ، وليس به للمرأة نصيب ، وستظل

فى تأخر إلى الأبد ، ما دامت تؤمن بأن النعيم فى الحياة الزوجية هو
نعيم الحيوان .

ضعوا المرأة حيث وضعتها الطبيعة ، ولا تدللوها أكثر مما فعلتم
يا أغبياء التمدن الحديث ! .

التوحيد فى العشق !!

* ويقول دكتور «زكى مبارك» - (١٣٠٨-١٣٧١هـ / ١٨٩١-١٩٥٢م) :

- « للتوحيد فى الحب نظائر فى أكثر الآداب ، ولكنه فى الأدب العربى أظهر وأوضح ، لأنه نشأ فى بيئة مفطورة على إثارة التوحيد .

« إن الشرك فى الحب قد يعين على فهم الألوان المختلفة من طبائع الملاح ، وهذا ما قصد إليه فريق من الشعراء الفرنسيين والألمان .

« أما التوحيد فى الحب ، فيوجه العاشق إلى درس نفسه بقوة وعمق ليرى مبلغ قدرته على ادراك ما فى الروح من سجاجة الهدى ، وشراسة الضلال .

« المشركون بالحب درسوا طبائع متعددة سمح الشرك بدرس ثقلها دراسة وافية ، ولا كذلك الموحدون فى الحب ، فقد درسوا أنفسهم فى صحبة أحبابهم دراسة بلغت الغاية فى محاولة التعرف إلى سرائر الروح .

« مثل هؤلاء .. مثل الرجل المتزوج .. فهو يفهم سر المرأة بأعمق ما يفهمه الرجل الفاجر .. لأن المتزوج يرى المرأة فى جميع أحوالها .. أما الفاجر ، فلا يرى من المرأة غير تلافيف من البهرج المبطن بالغشاع ، ! .

(العشق واليأس والموت)

* يقول « طاهر أحمد الطناحي » (١٣٢١-١٣٨٧ هـ / ١٩٠٣-١٩٦٧ م) :

- « لعل الحب والموت يجتمعان في أن كلا منهما لا يعرف كنهه ،
وأنهما سرّ من أسرار الكون .

« وإذا حاول أحد أن يعرف الموت ، فغاية ما يستطيعه أن يعرفه
بأعراضه - إن كانت له أعراض - أو بأسبابه إن كانت له - على الدوام -
أسباب .

« وكذلك الحب ، فلم يدرك أحد سره وحقيقة دوافعه التي تجرد
العاشق من شعوره بشخصيته ، وتهوّن عليه - في سبيل هواه - كل شيء
حتى الموت .. بل قد يستعذب الموت ويطلبه أملاً في النجاة ، أو رغبة في أن
يجمع الله بينه وبين من يحب في عالم الأرواح ، إذا كان قد كتب عليه
ألا يهنا بهذه السعادة في عالم الأجسام .

« وقد عرّف بعضهم (العشق) بأنه « مرض وسواسي يشبه
(المالبخوليا) يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض
الصور » .

« وعرّفه بعضهم بأنه « طمع يتولد في القلب ، ويتحرك وينمو .. ثم
يتربى ، وتجمع إليه الأنانية والحرص ، وكلما قوى ، ازداد صاحبه في
الاهتياج واللجاج والتمادى في الطمع ، حتى يؤدي به إلى الغم والقلق ..
فيكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء .. ومن غلبته السوداء :
فسد فكره .. ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ، ورجاء ما لا يكون ،
وتمنى ما لا يقع ، والهيام في وادی الخيال والأحلام » .

- « وإذا أصاب العاشق اليأس ، فقد يقتل نفسه ، أو يموت غماً .. وقد
يرى محبوبه فجأة - أو بعد غياب طويل - فيتأثر ويموت فرحاً ، أو يشق

شهقة تصعد فيها روحه .. أو يبلغه أنه مات ، فيصعق بنعيه ويموت حزناً ..
أو يهجره المحبوب ، فيصيبه من الآلام النفسية ما يضعف جسمه ، ويميته
بأوهى الأمراض .. بل قد يمتزج العاشقان امتزاجاً روحياً ، فيصبحان شيئاً
واحداً ، إذا شُطِرَ النصف ، مات النصف الآخر ، كما قال « العباس
ابن الأحنف » (ت ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م) :

خلط الله بروحي روحها فهما في جسدي شيء أحد
بهما يحيا إذا ما اصطحبا فإذا ما افترقا : مات الجسد

- « وقصة (روميو وجوليت) ، قصة (مجنون ليلى) وغيرهما
ترجع إلى حقيقة لا شك فيها ، وهى أن (الحب) يفعل فى النفس ، وفى
الجسم ما يفعله المرض .

« وإذا صح أنه فى كنهه مرض من الأمراض .. فلا عجب أن يموت به
(العشاق) كما يموت الناس بسائر الأمراض .

« وأنت ترى رجلاً يموت بالسكتة القلبية لحزن ، أو غضب ،
أو ضعف .. فليس عجباً أن يموت (عاشق) لموت (معشوقته) ،
أو غيائته وهجرانه ، أو لشدة وجده بمن يحب ، فتصبح روحه معلقة
فى خيط رفيع ، لا تقوى - فى محنتها - على أبسط الأشياء .

« وليس فى الدنيا أقرب إلى الموت من العاشق فى فرحه وأشجانه ،
وفى ألمه وسلوانه ، وفى ضعفه وقوته ، وفى جنبه وإقدامه ، وفى أنانيته
وتضحيته ، وفى استهائته بالحياة وحبها .. ما دام يعلم أن فى الموت رضاء
محبوبه ، أو قُربه منه ، أو فوزه بوصاله .. فهو مؤثر له ، لأنه يراه شفاء
لنفسه ، ودواء لقلبه ، ونجاة من جحيم الحياة .. أو فداء لمن يرجو لها حياة
هائلة ، وحظاً سعيداً لا شقاء فيه ولا آلام .

(العشق : إدراك الجمال فى الكون)

* يقول دكتور « أحمد ضيف » ، (١٢٩٧-١٣٦٤ هـ / ١٨٨٠-١٩٤٥ م) :

- « إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدانون لهن بأفضل الصفات لديهن ، وهى فى وصف شعور الناس .. لأن الشاعر الذى يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق ، وأنينهم .. فيتألم ويئن معهم .

« وليس هناك أعذب من هذه الآلام ، ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنين .

« وليس الغزل فى كلام العرب من المسائل الهزلية .. لأن الشعر - الذى هو وحنى النفوس - أكثر ما يكون ظهوراً فى التعبير عن الحب ، ولأن العشق هو ادراك أكبر مظاهر الجمال فى الكون .

« ومن لم يفتح الحب قلبه يوماً ، لم يدرك أسرار الحياة ، ولم ير غير ظواهرها ، ولم يتسرب إلى نفسه بصيص ضوء من جمال الوجود ، ا .

(يا أعلام الحُسن .. اعشقونا)

* ويقول دكتور « زكى مبارك » - (١٣٠٨ - ١٣٧١ هـ / ١٨٩١ - ١٩٥٢ م) :

- « يا أعلام الحسن !

« إن كنتم فطرتم على العزة ، وجبلتم على النخوة .. فهبونا بعض القُرب منكم ، والأنس بكم ، ولكم منا ما تشاءون من ذلة واستكانة ، وخضوع وعبودية .. وقد عذرناكم لعزكم ، فارحمونا لذلنا ، وعشقناكم لحسنكم ، فاعشقونا لحبنا .. فكفى بالحب جمالاً ، وبالعشق زينة .. وإن المحب المملول ، لخير من الحبيب المملول .

« فإن أبيتم إلا الصد والقطيعة ، والجفاء والإعراض ، فلإنا نبشركم بأن الحسن حال تحول ، ودولة تدول .. ثم يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين ، ! .

فہرس الکتاب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
★ مقدمة	٥
★ العشق فى آداب القرن التاسع عشر	١١
* العشق .. والغيرة	١٣
- غيرة العشاق	١٤
* العشق فى حياة المرء	١٩
* العشق لدى محرر النساء : (قاسم أمين)	٢٣
* العشق .. فى آراء (الشدياق) - (١)	٢٥
* العشق .. فى آراء (الشدياق) - (٢)	٣٣
★ مذاهب العشق .. والعشاق	٣٣
★ العشق كما يراه عباقرة القرن العشرين	٤٥
* العشق هو الحب ذو الغايات الثلاث .. (نقولا حداد)	٤٧
* مبادئ العشق	٥١
- التمتع بالجمال	٥١
- الحنين	٥١
- الإحساس مع الحبيب	٥١
- الاسترضاء	٥٢

الموضوع	صفحة
- الإيثار على النفس	٥٢
- فخر العاشق بحسنات حبيبه	٥٢
- المدح	٥٢
- التشبيه	٥٣
- الغيرة	٥٣
- العفة	٥٣
- الدلال	٥٤
- المداعبة	٥٤
- العتاب	٥٥
* حالات العشق .. ومذاهبه	٥٦
- العشق باعتبار السن	٥٦
- العشق باعتبار الزواج	٥٦
- العشق باعتبار المكان	٥٦
- العشق باعتبار الجاه .. والثروة	٥٦
- مذاهب العشاق	٥٧
* تأثيرات العشق	٥٩
- تأثيره في القلب	٥٩
- تأثيره في العقل	٥٩
- تأثيره في الصحة	٥٩

الموضوع	صفحة
- تأثيره فى الإرادة	٥٩
- تأثيره فى الطبع	٦٠
- تأثيره فى المحاضرة	٦٠
- تأثيره فى الآداب	٦٠
- تأثيره فى المقام	٦٠
- تأثيره فى السيرة	٦١
- تأثيره فى الهيئة الاجتماعية	٦١
* العشق فى أدب « مصطفى صادق الرافعى » - (١)	٦٢
- من هو العاشق ؟	٦٢
* العشق عند (الرافعى) - (٢)	٦٤
- نظرة عشق	٦٤
* العشق عند (الرافعى) - (٣)	٦٨
- حب العاشقين	٦٨
- نصف الجنون .. فى العاشق	٦٨
- حب الفتى .. وحب الرجل الهرم	٦٩
- الأجل والأكمل لدى العاشق	٦٩
- وصال العشق	٧٠
- كيف يكون الحب عشقاً	٧٠
- الحب والنفس العاشقة	٧٠

الموضوع	صفحة
-- العشق : رقة .. ووحشية	٧١
- العشق : شقاء .. ولذة	٧١
- الجمال المعشوق	٧١
- أنا عاشق	٧٢
- قلب المرأة العاشقة	٧٢
- عذاب العاشقين بالرحمة !	٧٢
- العشق بين التأله .. والتوله	٧٣
- عشق أعظم العلماء	٧٣
- العشق .. وصاحبه	٧٣
- الحب العاشق .. والجمال المعشوق	٧٣
- العاشق فى البداية .. والنهائة	٧٤
* حال العاشق .. (محمد السباعى)	٧٥
* العشق كما يراه (عباس محمود العقاد) - (١)	٧٩
- العشق : نزوة	٧٩
* العشق كما يراه (عباس محمود العقاد) - (٢)	٨١
- العشق .. والإرادة	٨١
- جذور العشق	٨٢
* العشق كما يراه (عباس محمود العقاد) - (٣)	٨٣
- العشق .. وشعر الغزل	٨٣

الموضوع	صفحة
* الزواج .. بعد العشق : (د. زكى مبارك)	٩٣
- التوحيد فى العشق	٩٧
* العشق .. والياس .. والموت : (طاهر الطناحى)	٩٩
* العشق : إدراك الجمال فى الكون : (د. أحمد ضيف) ..	١٠١
- يا أعلام الحُسن .. اعشقونا !!	١٠٣



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش. أبو المالحى (المجوزة) الجيزة - ت/ فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

**١ ش. سوهاج من ش. الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩**



العشق والغزل

في القرن التاسع عشر

- ◆ هذا الكتاب يحدثنا عن العشق عند محرر النساء « قاسم أمين » .. والعشق في آراء « أحمد فارس الشدياق » وكذلك مذاهب العشاق المختلفة .. والعشق والغيرة .
- ◆ كما يحدثنا عن العشق كما يراه عباقرة القرن العشرين .. وعن فخر العاشق بحسنات حبيبته .. وعن العشق باعتبار السن .. والعشق باعتبار الزواج .. والعشق باعتبار الجاه والثروة .
- ◆ كما سنعرف فيه تأثيرات العشق في القلب ، والعقل ، والصحة ، والآداب ، والسيرة ، والهيئة الاجتماعية .
- ◆ ومن هو العاشق ، ونظرة العشق عند « الرافعي » .. وما هو حب العاشقين وكيف يكون نصف الجنون في العاشق ؟ .. ما الفارق بين حب الفتى وحب الرجل الهرم ؟ .. وما هو الأجمل والأكمل لدى العاشق ؟ وكيف يكون الحب عشقا .
- ◆ وهل العشق رقة ووحشية ؟ أم شقاء ولذة ؟ .. وهل عذاب العشاق بالرحمة ؟ .. وكيف يكون قلب المرأة العاشقة ؟ وما هو حال العاشق عند السباعي ؟ .
- ◆ سنتعرف على العشق في فكر « العقاد » ، هل حقيقى أن العشق نزوة ، وكذلك العشق والغزل عنده .
- ◆ سنقرأ عن الزواج بعد العشق لدى « دكتور زكى مبارك » وعن العشق واليأس والموت في رأى « طاهر الطناحى » ، وكذلك رأى « د . أحمد ضيف » .
- ◆ سنرى أن العشق هو إدراك الجمال فى الكون .

DAR AL-AMEEN

طباعة • نشر • توزيع

دار الأمان

٨ شارع أبو المعالى (خلف المعهد البريطانى) العجوزة - تليفون / فاكس ٣٤٧٣٦٩١
١ ش سوماج من ش الرزازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - تليفون / فاكس ٥٦٣٤٦٩٩
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) مطابع سجل العرب - القاهرة - ت : ٥٩٣٢٧٠٦